المعالم الحضارية

في نهج البلاغة

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

www.haydarya.com

المعالم الحضارية
في نهج البلاغة

مؤسسة الإمام الحسين
لإحياء تراث أهل البيت

٢٣

المعالم الحضارية في نهج البلاغة

١٤٢٧٦١
١٢/١١/٢٠١٢

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

المعالم الحضارية
في نهج البلاغة

تأليف: باقر شريف القرشي
تحقيق: مهدي باقر القرشي

الناشر: ..... مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام
المطبعة: ..... ستاره
الطبعة الأولى: ..... ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
عدد النسخ: ..... ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

www. hassanlib.com
البريد الالكتروني hasanlib @ yahoo.com
النجف الأشرف ـ نهاية شارع الرسول صلى الله عليه وآله
٠٠٩٦٤ ٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

تقديم

١

في شخصيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ملتقى أصيل لدنيا من المواهب والعبقريّات ، ونكران الذات ، والتجرّد من منافع الدنيا ، والتحلّي بكلّ صفة شريفة .

وكان من مثله حرصه البالغ على إقامة الحقّ ، وبسط العدل ، وتوزيع خيرات الله تعالى على الذين تقتحمهم العيون من البؤساء والفقراء الذين لا يجدون الرغيف ، ولا ظلّ لهم أو مكانة في المجتمع ، فاحتضنهم الإمام عليه السلام ، فكان أباً وصديقاً لهم ، شاركهم في آلامهم وجشوبة عيشهم ، وقد حمّله ذلك رهقاً ، فقد ثارت عليه في أيّام حكومته القوى النفعيّة التي هامت في اكتساب المال الحرام فيما قبله من العهود حتّى أنّ بعض عيونهم ترك بعد وفاته من الذهب ما يكسّر بالفؤوس ، وهذه القوى ناجزت الإمام عليه السلام وسدّت جميع النوافذ في وجهه حتّى استشهد (سلام الله عليه).

٢

ومن أروع ما خلّفه الإمام من تراث رائع كان مدرسة للأجيال هو « نهج البلاغة » اذي هو ملء فم الدنيا في قيمه وأصالته ، ويأتي في

الأهمّيّة بعد القرآن الكريم ، فقد اقتبس منه علماء الفلسفة والكلام وعلماء الحديث وعلماء الفصاحة والبلاغة ، ولا زال ينتهل من نميره العلماء ، ويستمدّون من آرائه في المجالات التربويّة والاجتماعيّة والسياسيّة ، وغيرها من شؤون الحياة ومناهجها .

٣

ومهما اقتبس العلماء والحكماء من غرر نهج البلاغة ، واقتبسوا من حكمه وآدابه ، فإنّه لا يزال غضّاً تطفح ضفتاه بالقيم الكريمة ، ومحاسن الأخلاق ، وآداب السلوك ، لا تنفد كنوزه ، ولا تفنى عجائبه ، وهو يحكي مدى الثروات الهائلة التي يملكها الإمام عليه السلام رائد الحكمة والبيان ، والمؤسّس للقيم الحضاريّة التي يسمو بها الإنسان .

٤

التقيت وأنا في دلهي الهند للمعالجة بالأخ الفاضل الدكتور مهدي نجفي وبسيادة الدكتور العلّامة مهدي خواجه بير ، وهو من أفذاذ المؤمنين فضلاً وسلوكاً ، وقد كلّفته الحكومة الإيرانيّة في دلهي الهند بالتقاط الآثار المهمّة في الهند ، وفعلاً فقد استنسخ مئات المخطوطات ، كان منها نسخ من نهج البلاغة يعود خطّها إلى ألف سنة ، وبعضها إلى تسعمائة سنة ، وهي بخطوط جميلة تحكي التطوّر العلميّ في تلك العصور ، وقد عرض علينا أن نقيم في مكتبة الإمام الحسن عليه السلام في النجف الأشرف جناحاً خاصّاً إلى نهج البلاغة بعنوان « الأثر الخالد في الإسلام نهج البلاغة » ، فرحّبنا بهذه الفكرة ، وقد قدّم عدّة نسخ خطّيّة

من نهج البلاغة ، وأوعد بالمزيد منها ومن غيرها ، وإنّا جادّون في تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى .

عرض عليَّ ولدي المحقّق العلّامة الشيخ مهدي وفّقه الله تعالى أن أبحث عن المعالم الحضاريّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وغيره من المصادر التي تناولت تراث الإمام عليه السلام ، فرحّبت بهذه افكرة ، وشكرته على ذلك ، واتّجهت صوب هذا الموضوع ، سائلاً من الله تعالى أن يوفّقنا لذلك ، ويكتب لنا المزيد من الأجر ، إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه .

قدّس سرّه الشريف المرتضى

النجف الأشرف

١٧ / ربيع الأوّل /١٤٣٣هـ

القرآن الكريم

وانحنى الإمام إجلالاً وخضوعاً أمام القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أضفى عليه أجمل الأوصاف، وأسمى النعوت.

لقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في طليعة من قيَّم القرآن، وأشاد بفضله، وعظيم منزلته، وهذه كوكبة من الأخبار التي أدلى بها عن أهمية القرآن المجيد:

وصف القرآن

ووصف الإمام عليه السلام القرآن الكريم بهذه الصفات الرفيعة، قال عليه السلام: «**ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، ظَاهِرُهُ حُكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ**»[1].

حكت هذه الكلمات ما حفل به ظاهر القرآن وباطنه، فظاهره حكم وآداب، وباطنه علم وفضل وخير وهدى للناس.

القرآن نور

خطب الامام عليه السلام خطاباً مهمّاً تحدّث فيه عن نعمة الإسلام على النّاس ورحمته عليهم، ثمّ تعرّض للقرآن الكريم، فوصفه بالنور، والسراج المنير.

قال عليه السلام:

---

(١) الكافي: ٢: ٥٩٩. نهج البلاغة: ١: ٥٥. البصائر والذخائر: ٧.
وفي ربيع الأبرار زيادة على ذلك: «**وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ**».

«ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ـ أي على الرسول ﷺ ـ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجاً لَا يَضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.

فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[1]، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ، وَأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ[2]، وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ،

---

(١) **البحبوحة**: وسط المكان.

(٢) **الغيطان**: جمع غاط، وهو المطمئن من الأرض.

وَجُنَّةٌ لِمَنِ اسْتَلْأَمَ، وَعِلْماً لِمَنْ وَعَىٰ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَىٰ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَىٰ»[١].

أرأيتم كيف قيّم الإمام القرآن وثمّنه بهذه الكلمات الذهبيّة، التي حفلت بما في القرآن من ذخائر العلم، ومناجم الفكر، وهي تنمّ عن إحاطة الإمام ووعيه لجميع ما في القرآن من دقائق وأسرار!

القرآن ناطق

من كلمات الإمام الرائعة في وصف القرآن الكريم قوله: «**وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ**»[٢].

ما أجمل هذا الوصف! وما أروع هذا البيان! فقد حكى ما في القرآن الكريم من عظيم الصفات.

القرآن يتحدّث عن أنباء الماضي والمستقبل

من أحاديث الإمام عليه السلام عن القرآن الكريم أنّه تحدّث عن أنباء الأُمم الماضية، والأُمم التي ستأتي قال عليه السلام: «**وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ**»[٣].

لقد قصّ القرآن الكريم أحوال الأُمم السابقة، وما جرىٰ على بعضها من الدمار والهلاك، وذلك بسبب انحرافها عن الحقّ، ومعاداتها لرسل الله.

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ٣١٥ و ٣١٦. بحار الأنوار: ٨٩: ٢١ و ٢٢، الحديث ٢١.

(٢) نهج البلاغة: ٢: ١٦. بحار الأنوار: ٩٢: ٣٣. شرح نهج البلاغة: ٨: ٢٧٣.

(٣) نهج البلاغة: ٥٣٠، الحديث ٣١٣. الدرّ المنثور: ٥: ١١٤، يرويه عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

القرآن حبل الله

أوصى الإمام عليه السلام أصحابه بالتمسّك بالقرآن، ووعي آياته لأنّه حبل الله المتين، قال عليه السلام: «**عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ. لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ**»[١].

إنّ كتاب الله العظيم حافل بكلّ مقوّمات الحياة، فهو النور الذي يهدي الضالّ، وهو العصمة لمن تمسّك به، والنجاة لمن التجأ إليه، فما أعظم عائدته على الإنسان!

القرآن ناصح

تحدّث الإمام عليه السلام عن فضل القرآن ومدى أهمّيته، قال عليه السلام:

«**وَاعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٍ فِي هُدىً، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمىً.**

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ[٢]، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنىً؛ فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَىٰ لَأْوَائِكُمْ[٣]، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ: وَهُوَ ـ أي الداء ـ الْكُفْرُ

---

(١) بحار الأنوار: ٩٢: ٢٣. نهج البلاغة: ٢: ٢١٩.

(٢) **الفاقة**: الفقر والحاجة.

(٣) **اللأواء**: الشدّة.

وَالنِّفَاقُ، وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ. إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ بِمِثْلِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلىً فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ». فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَىٰ رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ»[1].

وصف الإمام عليه السلام القرآن الكريم بأجمل الصفات وأبدع النعوت، فقد وصفه بالناصح المشفق الذي يهدي الناس للتي هي أقوم، كما وصفه بالمحدِّث الذي لايكذب، وإنّما يتلو الحقّ، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وهو الدواء الذي يعالج جميع أمراض الإنسان ويحسم مشاكله، وهو الشافع يوم القيامة لمن قرأه بإمعان وسار على هديه. هذه بعض الصفات التي أضفاها الإمام على القرآن.

القرآن هدى ونور

أوصى الإمام عليه السلام أصحابه برعاية القرآن والتمسّك به فإنّه نور وهدى، قال عليه السلام: **«اعْلَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ هُدَى النَّهارِ، وَنُورُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ عَلى ما كَانَ مِنْ جَهْدٍ وَفَاقَةٍ»**[2].

---

(١) ربيع الأبرار: ٢: ٨٢ و ٨٣. نهج البلاغة: ٢٥٢. بحار الأنوار: ٨٩: ٢٤.

(٢) أصول الكافي: ٢: ٦٠٠. بحار الأنوار: ٦٥: ٢١٢.

القرآن هدى للناس ، يُرشد الضالّ ، ويُنير الطريق ، ويُوضح القصد ، ويهدي الحائر.

الحثّ على تعلّم القرآن

حثّ الإمام عليه السلام أصحابه على تعلّم القرآن الكريم ، قال عليه السلام:

« تَعَلَّمُوا الْقرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ »(١).

وحفلت هذه الكلمات بآيات الثناء على كتاب الله العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

حفظ القرآن

ندب الإمام أصحابه إلى حفظ القرآن ، وممن حثّه الإمام على ذلك الفرزدق الشاعر المعروف ، فقد وفد مع أبيه على الإمام عليه السلام فقال الإمام لأبي الفرزدق:

مَنْ أَنْتَ ؟

- غالب بن صعصعة المجاشعي.

- **أَنْتَ ذُو الْإِبِلِ الْكَثِيرَةِ ؟**

- نعم.

- **ما فَعَلَتْ إِبِلُكَ ؟**

- أذهبتها النوائب ، وذعذعتها الحقوق.

- **ذاكَ ـ أي اذهاب الحقوق لها ـ خَيْرُ سَبِيلِها.**

---

(١) نهج البلاغة: ١٦٤. بحار الأنوار: ٢: ٣٦.

ثمّ إلتفت الإمام إلى غالب فقال له: **مَنْ هٰذَا الْفَتَى الَّذِي مَعَكَ؟** ـ وأشار إلى الفرزدق.

ـ ابني وهو شاعر.

فأرشده الإمام إلى تعلّم ما هو خير من الشعر قائلاً: **عَلِّمْهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الشِّعْرِ.**

واستجاب الفرزدق لنصيحة الإمام، فعكف على حفظ القرآن، وقد قيّد نفسه سنة حتى حفظه، وفي ذلك يقول:

وَما صَبَّ رِجلي في حَدِيدٍ مُجاشِعٍ مَعَ القِدِّ إلّا حاجَةٌ لي أُرِيدُها[1]

لقد كانت الحاجة التي يريدها الفرزدق هي حفظ القرآن الكريم والوقوف على معانيه.

دعاؤه عليه السلام عند ختم القرآن

كان الإمام عليه السلام يدعو بهذا الدعاء عند ختمه للقرآن الكريم:

«اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِخْباتَ الْمُخْبِتِينَ، وَإِخْلَاصَ الْمُوقِنِينَ، وَمُرافَقَةَ الْأَبْرارِ، وَاسْتِحْقاقَ حَقائِقِ الْإِيمانِ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَوُجُوبَ رَحْمَتِكَ، وَعَزائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجاةَ مِنَ النَّارِ»[2].

وأُثر عنه دعاء آخر كان يدعو به عند ختمه للقرآن، وهو:

---

(١) نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني: ٢٦٨. شرح نهج البلاغة: ١٠: ٢١ و ٢٢.

(٢) الصحيفة العلويّة الثانية: ٢٠٢. مكارم الأخلاق: ٣٤٢. كنز العمّال: ٢: ٣٥١. المناقب الخوارزمي: ٨٦.

«اللَّهُمَّ اشْرَحْ بِالْقُرْآنِ صَدْرِي ، وَاسْتَعْمِلْ بِالْقُرْآنِ بَدَنِي ، وَنَوِّرْ بِالْقُرْآنِ بَصَرِي ، وَأَطْلِقْ بِالْقُرْآنِ لِسَانِي ، وَأَعِنِّي عَلَيْهِ مَا أَبْقَيْتَنِي ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»(١).

القرآن ربيع القلوب

أدلى الإمام عليه السلام في بعض خطبه عمّا في القرآن الكريم من الفوائد التي لا يستغني عنها أحد ، والتي منها أنّه ربيع القلوب ، قال عليه السلام:

«فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ ، وَسَبَبُهُ الْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ»(٢).

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أدلى بها الإمام عليه السلام في فضل القرآن الكريم والاشادة به ، وهي تحكي بصورة واضحة عن وعيه الكامل لكتاب الله العزيز ، وتدبّره التامّ لجميع ما فيه من حقول العلم والمعرفة ، ولا شبهة إنّه ليس هناك أحد من الصحابة قد وقف على القرآن الكريم وفهم حقيقته غير الإمام عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله.

وقد حفل نهج البلاغة المزيد من كلماته عليه السلام التي أدلى بها عن أهمّيّة القرآن المجيد.

---

(١) الصحيفة العلويّة الأولى : ٢٨٧. مستدرك الوسائل : ٤ : ٣٧٨. بحار الأنوار : ٨٩ : ٢٠٩ ، الحديث ٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٠ : ٣١. بحار الأنوار : : ٣١٢ و ٣١٣ ، الحديث ٧٦.

العلم و التعليم

لقد أشاد الإمام عليه السلام في كلماته وخطبه الرائعة في نهج البلاغة إلى نشر التعليم، ومحو الأُمّية، وإشاعة العلم بين الناس فقد اتّخذ جامع الكوفة مدرسة ومعهداً لإلقاء محاضراته العلمية وتعليم قيمه الفكرية، والتي كان منها الدعوة إلى الله تعالى، وإظهار فلسفة التوحيد وإقامة دعائم الإيمان بالله تعالى على ضوء الأدلّة العلمية الحاسمة التي لا تقبل الجدل والتشكيك، بالاضافة إلى مواعظه العملاقة التي كانت تهزّ أعماق النفوس خوفاً ورهبة من الله تعالى.

وقد تخرّج من مدرسته جماعة من عظماء الإسلام أمثال الصحابي العظيم عمّار بن ياسر، وحجر بن عدي، وكميل بن زياد، وأبي الأسود الدؤلي، وميثم التمّار، وغيرهم من الذين أقاموا صروح النهضة العلمية في الإسلام.

وعلى أي حال فإنّا نعرض بإيجاز لبعض ما أُثر عن هذا الإمام الملهَم من الكلمات القيّمة في تبجيل العلم وذمّ الجهل، وتكريم العلماء، وبعض العلوم التي أقامها.

الإشادة بالعلم

أمّا العلم فهو من أفضل المحاسن التي يتحلّى بها الإنسان ويسمو إلى أرقى مستويات الكمال، وبالعلم تكون نهضة الأُمم وبلوغها إلى أهدافها، ومستحيل أن تحتلّ أُمّة من الأُمم مركزاً مهمّاً تحت الشمس وهي قابعة في مستنقع الجهل.

وقد أشاد إمام المتّقين كثيراً بالعلم، ولنقرأ بعض أحاديثه:

قال عليه السلام في حديثه مع تلميذه العالم كميل بن زياد:

يَا كُمَيْلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ . وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ .

يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ .

يَا كُمَيْلُ ، هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ . أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ[1] .

حكى هذا الكلام أهمّية العلم ، وأنّه أثمن شيء في الحياة ، ولا يقاس به المال الذي هو شريان الحياة .

وقد تميّز العلم على المال ؛ فإنّ العلم ينمو بإنفاقه على الطلاب والسائلين ، وأمّا المال فإنّه يفنى بالإنفاق ، كما إنّ العلماء باقون على امتداد التاريخ وأمّا أصحاب الثروات العظيمة فإنّهم يفنون بموتهم وتتلاشى ثرواتهم من بعدهم .

قال عليه السلام : «**الْعِلْمُ إِحْدَى الْحَيَاتَيْنِ**»[2] .

ما أروع هذه الكلمة التي أحاطت بقيمة العلم ، فهو إحدى الحياتين اللتين يخلد بهما الإنسان.

---

(١) نهج البلاغة : ٣ : ١٦٤ . كنز العمّال : ١٠ : ٢٦٣ . تفسير الرازي : ٢ : ١٩٢ . تاريخ بغداد : ٦ : ٣٧٦ .

(٢) مستدرك نهج البلاغة : ١٨٠ .

قال عليه السلام: «الْعِلْمُ تُحْفَةٌ فِي الْمَجَالِسِ، وَصاحِبٌ فِي السَّفَرِ، وَأَنْسٌ فِي الْغُرْبَةِ...»[١].

حقّاً إنّ العلم زينة المجالس، فبه تزهو وتسمو وتتميّز عن بقيّة المجالس العارية من العلم، كما إنّه صاحب وصديق مؤنس في السفر وأُنس في الغربة.

أهمّية العالم

وتحدّث الإمام عن أهمّية العالم، وسموّ مكانته الاجتماعية وإنّ موته خسارة على الناس.

قال عليه السلام: «إذا مَاتَ الْمُؤْمِنُ الْعالِمُ ثُلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ»[٢].

تكريم العالم

وحثّ الإمام عليه السلام على تكريم العالم وتبجيله والاعتراف له بالفضل.

قال عليه السلام: «مِنْ حَقِّ الْعالِمِ عَلَيْكَ إِذا أَتَيْتَهُ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِ خاصَّةً، وَعَلَى الْقَوْمِ عامَّةً، وَلَا تَجْلِسْ قُدّامَهُ، وَلَا تُشِرْ بِيَدِكَ، وَلَا تَغْمِزْ بِعَيْنِكَ، وَلَا تَقُلْ قالَ فُلَانٌ خِلَافَ قَوْلِكَ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ، وَلَا تَلِحَّ عَلَيْهِ فِي السُّؤالِ فَإِنَّما هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ الْمُرْطِبَةِ الَّتِي لَا يَزالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْها شَيْءٌ»[٣].

وتحدّث عليه السلام بهذه الكلمات عن حقوق العالم، ولزوم رعايته واحترامه تكريماً لعلمه وإشادة بفضله لأنّه مصدر عطاء وفيض للمجتمع توجيهاً وسلوكاً وآداباً.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة: ١٨٦.

(٢) مستدرك نهج البلاغة: ١٧٧.

(٣) العقد الفريد: ٢: ٢٢٤. جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبرّ: ١: ١٤٦.

أخذ المحاسن من كلّ علم

قال عليه السلام: «**الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصىٰ، فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ**»(١).

وهذه الكلمة من روائع الحكم، ومن محاسنها فإنّ العلم كنز لا يحصى ما فيه، وعلى المرء أن يختار أبدع وأروع ما فيه، وقد نظم بعض الشعراء هذه الكلمة الحكمية للإمام عليه السلام بقوله:

ما حَوىٰ العِلْمَ جَميعاً رَجُلٌ ... لَا وَلَوْ مارَسَهُ أَلْفَ سَنَه

إِنَّما الْعِلْمُ بَعيدٌ غَورُهُ ... فَخُذوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَه(٢)

تشجيعه عليه السلام للحركة العلمية

كان الإمام عليه السلام يدعو المجتمع إلى العلم ويحثّهم عليه، وقد خطب في الكوفة فقال: **مَنْ يَشْتَرِي عِلْماً بِدِرْهَمٍ؟**

فقام الحارث الأعور فاشترى صحفاً بدرهم ثمّ جاء بها إلى الإمام عليه السلام، فكتب له بها علماً كثيراً(٣).

وقد دلّت هذه البادرة على مدى تشجيعه للعلم، وحثّه على تدوينه وكتابته.

العمل بالعلم

وأكّد الإمام على ضرورة العمل بالعلم في كثير من أحاديثه كان منها ما يلي:

قال عليه السلام: «**الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ؛ وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ**

---

(١) معجم الأدباء: ١: ٧٣. تاريخ اليعقوبي: ٢: ٥.

(٢) التمثيل والمحاضرة للثعالبي: ١٦٥. التحقيق في الإمامة: ١٣١.

(٣) تقييد العلم: ٩٠. الطبقات الكبرى: ٦: ١١٦. تاريخ مدينة دمشق: ٣٦: ٣٠١.

وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ»[١].

والمراد من قوله عليه السلام: فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه، أي أنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه، ولم يسر على ضوئه فإنّ الله تعالى يسلبه عنه.

قال عليه السلام: «وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ... وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟!»[٢].

أنّ الذي لا يهتدي بعلمه كالسالك في الطرق الملتوية القاتمة التي تهوي به إلى مستوى سحيق من الانحطاط ما له من قرار.

قال عليه السلام: «أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَىٰ اللِّسَانِ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ...»[٣].

قال عليه السلام: «رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ»[٤].

وكثير من هذه الكلمات الذهبية أدلى بها أمير البلاغة والبيان وهي تهيب بالعلماء أن يعملوا بما علموا وأن تتوافق أعمالهم مع أقوالهم الداعية إلى الهدى والصلاح.

أنواع طلاب العلم

تحدّث الإمام عليه السلام عن أصناف طلبة العلوم فقال:

---

(١) تصنيف نهج البلاغة: ٢٣٠٢. تفسير ابن عربي: ٢: ١٥٩. شرح نهج البلاغة: ١٩: ٢٨٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١١٠. شرح نهج البلاغة: ٧: ٢٢١.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٠٩. ينابيع المودّة: ٢: ٢٤٠.

(٤) ينابيع المودّة: ٢: ١١٠.

«طَلَبَةُ هٰذا الْعِلْمِ عَلىٰ ثَلاثَةِ أَصْنافٍ، لا أَفاعْرِفُوهُمْ بِصِفَاتِهِمْ:

صِنْفٌ مِنْهُمْ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ لِلْمِراءِ وَالْجَدَلِ.

وَصِنْفٌ لِلْإِسْتِطَالَةِ وَالْحِيَلِ.

وَصِنْفٌ لِلْفِقْهِ وَالْعَمَلِ.

فَأَمّا صاحِبُ الْمِراءِ وَالْجَدَلِ فَإِنَّكَ تَراهُ مُمَارِياً لِلرِّجالِ فِي أَنْدِيَةِ الْمَقالِ، قَدْ تَسَرْبَلَ بِالتَّخَشُّعِ، وَتَخَلّىٰ عَنِ الْوَرَعِ، فَدَقَّ اللهُ مِنْ هٰذا حَيْزُومَهُ، وَقَطَعَ مِنْهُ خَيْشُومَهُ.

وَأَمّا صاحِبُ الْإِسْتِطَالَةِ وَالْحِيَلِ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِيلُ عَلىٰ أَشْباهِهِ مِنْ أَشْكَالِهِ، وَيَتَواضَعُ لِلْأَغْنِياءِ مِنْ دُونِهِمْ، فَهُوَ لِحَلْوائِهِمْ هاضِمٌ، وَلِدِينِهِ حاطِمٌ، فَأَعْمَى اللهُ بَصَرَهُ، وَمَحا مِنَ الْعُلَماءِ أَثَرَهُ.

وَأَمّا صاحِبُ الْفِقْهِ وَالْعَمَلِ، فَتَراهُ ذا كَآبَةٍ وَحُزْنٍ، قامَ اللَّيْلَ فِي حِنْدِسِهِ، وَانْحَنىٰ فِي بُرْنُسِهِ يَعْمَلُ وَيَخْشىٰ فَشَدَّ اللهُ مِنْ هٰذا أَرْكانَهُ، وَأَعْطاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَمانَهُ»[1].

وألمّ هذا الحديث الشريف بأنواع طلبة العلم وحكى أهدافهم، فبعضهم يطلبه لأغراضه الشخصية من دون أن يبتغي به رضا الله تعالى والدار الآخرة، وهؤلاء هم الأخسرون عملاً، وأكّد الإمام هذا المعنى في حديث آخر له:

قال عليه السلام: «لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ حَمَلُوهُ بِحَقِّهِ لَأَحَبَّهُمُ اللهُ وَمَلائِكَتِهِ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ مِنْ

---

(١) مستدرك نهج البلاغة: ١٧٧.

خَلْقِهِ، وَلـٰكِنَّهُمْ حَمَلُوهُ لِطَلَبِ الدُّنْيا فَمَقَتَهُم اللهُ وَهانُوا عَلَى النّاسِ»[١].

إنّ من يطلب العلم ويتحمّل الجهد الشاقّ في سبيله إن كان هدفه رضا الله والدار الآخرة فاز في دنياه وآخرته، وإن كان هدفه رغبات الدنيا والتفوّق على غيره فقد خسر خسراناً مبيناً.

ذمّ أهل الرأي

ذمّ الإمام عليه السلام أهل الرأي الذين يفتون بآرائهم من دون علم. قال عليه السلام:

«تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ القَضِيَّةُ في حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ القَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيها بِخِلافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ القُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ الْإِمامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُم، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً ـ وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ!

أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ!

أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَىٰ إِتْمَامِهِ!

أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَىٰ؟

أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٢]، وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ

---

(١) بحار الأنوار: ٢: ٣٧. تحف العقول: ٢٠١. نزهة الناظر: ٦٤.

(٢) الأنعام ٦: ٣٨.

يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾(١).(٢)

عرض الإمام عليه السلام إلى ما يفتي به العاملون بآرائهم وأقيستهم، وأنّها على ضلال يا له من ضلال، فهي متناقضة متباينة ليس فيها بصيص من نور الإسلام وهديه.

بذل العلم

وحثّ الإمام عليه السلام العلماء على بذل العلم وإشاعته بين الناس، فقد جاء في كتابه: «إِنَّ اللهَ لَمْ يأْخُذْ عَلَى الْجُهَّالِ عَهْداً بِطَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّىٰ أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ عَهْداً بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجُهَّال؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ»(٣).

لقد عنى الإمام بصورة إيجابية بإشاعة العلم ونشره بين الناس، وقد حثّ العلماء وألزمهم بتعليم المجتمع وتثقيفه والسهر على رفع مستواه الفكري.

حثّه عليه السلام على جودة الخطّ

حثّ الإمام عليه السلام أصحابه وجهاز حكومته على جودة الخطّ، وقال لهم: «الْخَطُّ الْحَسَنُ يُزِيدُ الْحَقَّ وُضُوحاً»(٤).

ومن الجدير بالذكر أنّ المصحف الكريم لم يكن منقّطاً، وأوّل من نقّطه أبوالأسود الدؤلي، وذلك بتلقين وإرشاد من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام(٥).

---

(١) النساء ٤: ٨٢.

(٢) نهج البلاغة: ١: ٦٠ و ٦١. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: ١٩.

(٣) أصول الكافي: ١: ٤١. بحار الأنوار: ٢: ٦٧، الحديث ١٤.

(٤) صبح الأعشى: ٣: ٢٥. الجامع الصغير: ١: ٦٣٦. كنز العمّال: ١٠: ٢٤٤.

(٥) صبح الأعشى: ٣: ١٤٩. مفتاح السعادة: ١: ٨٩، وفيه: «أنّ أوّل من نقّط المصحف»

أنواع العلوم

كان الإمام عليه السلام خزانة من العلوم والمعارف لم يعهد له نظير في عظماء الدنيا وعباقرة العالم، وقد فتق أبواباً من العلوم تربو على ثلاثين علماً لم يكن يعرفها العرب وغيرهم من قبل حسبما يقول العقّاد، وقد أثر عنه القول: «**الْعُلُومُ أَرْبَعَةٌ: الْفِقْهُ لِلْأَدْيانِ، وَالطِّبُّ لِلْأَبْدانِ، وَالنَّحْوُ لِلِّسانِ، وَالنُّجُومُ لِمَعْرِفَةِ الزَّمانِ**»(١).

وقد أعرب الإمام عليه السلام عن أساه وحزنه لأنّه لم يجد من يبثّ إليه علومه حتى تستفيد منها العامّة وتتطوّر بها الحياة، وقد قال عليه السلام: «**إِنَّ هاهُنا** ـ وأومأ إلى صدره الشريف ـ **لَعِلْماً جَمّاً، لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً**»(٢).

لقد كان صدره الشريف خزانة لعلم رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو باب مدينة علمه ووارث علومه وحكمه وآدابه،

« الإمام عليّ عليه السلام ».

(١) مفتاح السعادة: ١: ٣٠٣. ينابيع المودّة: ٣: ٢١٠.

(٢) المصدر المتقدّم: ٤٣. تاريخ بغداد: ٦: ٣٧٦.

التربية

إنّ من أهمّ العوامل التي عنى بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هي المكوّنات التربويّة الصالحة التي يجب أن ينشأ عليها الإنسان ليكون مواطناً صالحاً تسعد به الأُمّة، ويتكوّن منه المجتمع السليم الذي يبلغ مستواه من الحضارة والتطوّر.

وقد عهد الإمام عليه السلام بوصايا تربويّة إلى ولده الإمام الزكيّ الحسن عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيّد شباب أهل الجنّة، كما عهد بوصيّة إلى ولده سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، ونعرض لذلك:

وصيّته عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام

أمّا وصيّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهي في منتهى الروعة والحكمة، وفي أرقى مستويات الفصاحة والبلاغة، وهذا عرض لبعض فصولها:

دوافع الوصيّة

أمّا الدوافع التي دفعت الإمام عليه السلام إلى هذه الوصيّة، فقد أعرب عنها عليه السلام بقوله:

أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمّا رَأَيْتُني قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُني أَزْدَادُ وَهْناً، بادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصالاً مِنْها قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بي أَجَلي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِما فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَما نُقِصْتُ في جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَباتِ الْهَوَى

وَفِتَنِ الدُّنْيا ، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ. وَإِنَّما قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخالِيَةِ ما أُلْقِيَ فِيها مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ.

فَبادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ ، لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ ما قَدْ كَفاكَ أَهْلُ التَّجارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ ، فَأَتاكَ مِنْ ذٰلِكَ ما قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ ، وَاسْتَبانَ لَكَ ما رُبَّما أَظْلَمَ عَلَيْنا مِنْهُ.

تحدّث الإمام الحكيم عليه السلام في هذا المقطع عن عوامل وصيّته التربويّة لولده الإمام الحسن عليه السلام ، وهي:

إنّ الإمام عليه السلام قد بلغ سنّاً وهو ما يقرب الستّين عاماً ، وفي هذا السنّ تهجم على الإنسان عوامل الشيخوخة التي تزحف بالإنسان إلى طريق الفناء والنسيان ، وقد بادره الإمام بوصيّته لأنّه كان في مقتبل العمر ، الذي فيه تنفذ الوصايا الكريمة إلى أعماق نفسه ودخائل ذاته ، كما أنّ النصائح التي سيدلي بها الإمام هي خلاصة التجارب التي تكفيه عن مؤونة طلبه لها.

بنود الوصيّة

أمّا بنود الوصيّة التي أدلى بها الإمام فهي من أروع النصائح وأثمنها ، وهذه شذرات منها:

وَاعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ ما أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتي تَقْوَى اللهِ وَالْإِقْتِصارُ عَلىٰ ما فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، وَالْأَخْذُ بِما مَضىٰ عَلَيْهِ

الْأَوَّلُونَ مِنْ آبائِكَ ، وَالصّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إِلَىٰ الْأَخْذِ بِما عَرَفُوا ، وَالْإِمْساكِ عَمّا لَمْ يُكَلَّفُوا ، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذٰلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهاتِ ، وَعُلَقِ [عَلوّ] الْخُصُوماتِ . وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلِكَ بِالْإِسْتِعانَةِ بِإِلٰهِكَ ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ ، فِي تَوْفِيقِكَ ، وَتَرْكِ كُلِّ شائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَىٰ ضَلَالَةٍ . فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذٰلِكَ هَمّاً وَاحِداً ، فَانْظُرْ فِيما فَسَّرْتُ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ ما تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ ، وَفَراغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّما تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ[1] ، وَتَتَوَرَّطُ الظَّلْماءَ . وَلَيْسَ طالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ ، وَالْإِمْساكُ عَنْ ذٰلِكَ أَمْثَلُ .

حكى هذا المقطع أموراً بالغة الأهمّيّة في بناء الشخصيّة وتماسكها ، وهي:

١ ـ الأمر بتقوى الله تعالى ، فإنّ مَن يتمسّك بذلك صان نفسه من كلّ زيغ وإثم ، وطهّر نفسه من كلّ ضلالة .

٢ ـ الإقتداء بآبائه الصالحين الذين هم قدوة المجتمع في سلوكهم ، ومعالي أخلاقهم وآدابهم .

---

(١) **العشواء** : الضعيف البصر .

٣ ـ إنّه نهى عن تورّط الشبهات والإنغماس في الباطل والخصومات التي لا تجرّ إلّا الخسران.

٤ ـ إنّه أمر بالإستعانة بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة.

هذه بعض بنود كلامه عليه السلام.

الإعتصام بالله عزّ وجلّ

من بنود هذه الوصيّة الخالدة الإعتصام بالله تعالى والإنقطاع إليه، فإنّ ذلك من أعظم الذخائر للإنسان، قال عليه السلام:

فَتَفَهَّمْ يا بُنَيَّ وَصِيَّتي، وَاعْلَمْ أَنَّ مالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مالِكُ الْحَياةِ، وَأَنَّ الْخالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِي هُوَ الْمُعافي، وَأَنَّ الدُّنْيا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلىٰ ما جَعَلَها اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْماءِ، وَالْإِبْتِلاءِ، وَالْجَزاءِ في الْمَعادِ، أَوْ ما شاءَ مِمّا لَا تَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلىٰ جَهالَتِكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ ما خُلِقْتَ بِهِ جاهِلاً ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَما أَكْثَرَ ما تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ [الْأُمور]، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ! فَاعْتَصِمْ بِالَّذي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

عهد الإمام في هذا المقطع لولده الزكيّ الإمام الحسن عليه السلام إلى الإعتصام بالله تعالى، والإنقطاع إليه، فإنّ بيده جميع مجريات الأحداث.

وعرض الإمام عليه السلام إلى أنّ الإنسان قد خلق جاهلاً لا يعي ولا يعقل أيّ شيء،

وعليه أن يعتصم بالله عزّ وجلّ في أُموره وسلوكه كلّها.

أهمّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله

عرض الإمام عليه السلام في وصيّته إلى الأهمّيّة البالغة للنبيّ صلى الله عليه وآله، قال:

وَاعْلَمْ يابُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ سُبْحانَهُ كَما أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ـ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَارْضَ بِهِ رائِداً، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً. وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ في النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

حكى هذا المقطع إلى التمسّك بالنبيّ صلى الله عليه وآله، والأخذ بوصاياه، فإنّه أعظم موجّه وأكبر ناصح.

نفي الشريك لله عزّ وجلّ

من بنود هذه الوصيّة نفي الشريك لله تعالى، قال عليه السلام:

وَاعْلَمْ يابُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثارَ مُلْكِهِ وَسُلْطانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعالَهُ وَصِفاتِهِ، وَلٰكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَما وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضادُّهُ في مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَداً وَلَمْ يَزَلْ. أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْياءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْياءِ بِلَا نِهايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذا عَرَفْتَ ذٰلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ في صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ، في طَلَبِ طاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ

عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ.

تحدّث الإمام عليه السلام في هذا المقطع الذهبي من كلامه عن بعض قضايا التوحيد وهي:

١ ـ نفي الشريك عن الله تعالى في خلقه للأكوان، وإحاطته التامّة بجميع شؤون الموجودات، ولو كان له تعالى شريك لأتت لنا رسله ورأينا آثار ملكه التي تدلّ على وجوده، إنّه ليس هناك إلّا إله واحد لا شريك له.

٢ ـ إنّ الله تعالى الخالق المبدع الذي لا أوّلية له، ولا ابتداء لوجوده، كما إنّه الآخر بلا نهاية له، أمّا تفصيل هذه البحوث والاستدلال عليها فقد عرضت لها كتب الكلام.

٣ ـ إنّ الخالق العظيم أعظم من أن تحيط بمعرفته القلوب والأبصار التي هي محدودة المدارك.

كما تحدّث الإمام في آخر المقطع عن الأوامر والنواهي التي صدرت من الشارع، فقد ذهبت العدلية من الإمامية والمعتزلة إلى أنّ الأمر من الشارع لم يتعلّق إلّا بشيء حسن، فيه مصلحة تعود على العباد، ولم ينه عن شيء إلّا وهو قبيح وفيه مفسدة كامنة تعود بالضرر على الناس..

حال الدنيا

عرض الإمام عليه السلام في وصيّته الخالدة إلى وضع الدنيا وتغيّر أحوالها ووضعها.

قال عليه السلام:

يا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا،

وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِها، وَتَحْذُوَ عَلَيْها. إِنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ، فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَناباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثاءَ الطَّرِيقِ، وَفِراقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً. وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْناهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ.

وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِها كَمَثَلِ قَوْمٍ كانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبا بِهِمْ إِلَىٰ مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفارَقَةِ ما كانُوا فِيهِ، إِلَىٰ ما يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

حكى هذا المقطع وصفاً دقيقاً وشاملاً لحال الدنيا ولمَن اغترّ بها، وأنّها ليست مقرّاً ولا داراً، وإنّما الآخرة لهي دار الخلد التي ينعم فيها المحسن، ويعذّب فيها الضالّ.

معاملة الناس

تحدّث الإمام عليه السلام عن معاملة الناس، وأنّه ينبغي أن تكون قائمة على المودّة والألفة. قال عليه السلام:

يا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزاناً فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَما تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ

ما تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النّاسِ بِما تَرْضاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ ما لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ ما لَا تُحِبُّ أَنْ يُقالَ لَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجابَ ضِدُّ الصَّوابِ، وَآفَةُ الْأَلْبابِ. فَاسْعَ في كَدْحِكَ، وَلَا تَكُنْ خازِناً لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ ما تَكُونُ لِرَبِّكَ.

وضع الإمام المربّي عليه السلام في هذه الفقرات الذهبية آداب السلوك، ومحاسن الأخلاق التي يسمو بها الإنسان، فقد حفلت بما يلي:

١ ـ أن يجعل الإنسان نفسه ميزاناً فيما بينه وبين غيره، فيحبّ له ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لها، ومن الطبيعي أنّ هذه الظاهرة الفذّة إذا سادت في المجتمع فإنّه يبلغ القمّة في كماله وآدابه.

٢ ـ التحذير من ظلم الغير، فكما أنّ الإنسان يشجب من يعتدي عليه كذلك عليه أن يحمل هذا الشعور مع الغير.

٣ ـ على الإنسان أن يحسن للغير كما يحبُّ أن يحسن إليه.

٤ ـ أن يستقبح الأعمال السيّئة التي تصدر منه كما يستقبح صدورها من الغير كما عليه أن يرضى من الناس ما يرضاه لنفسه.

٥ ـ إنّه عليه السلام نهى عن القول بغير علم؛ فإنّه يؤدّي إلى المضاعفات السيّئة للشخص ولغيره.

٦ ـ حذّر الإمام من إعجاب الإنسان بنفسه، فإنّه من مساوئ الرذائل التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق.

٧ ـ إنّه عليه السلام نهى عن الافراط في جمع الأموال التي تجرّ الويل والعطب، فإنّ من يبتلى بذلك يكون خازناً لغيره وذلك إذا فارقته الحياة، خصوصاً إذا لم يؤدّ الإنسان حقوق الله منها، فإن الوزر يكون عليه والمهنأ بها لغيره..

الدار الآخرة

عرض الإمام عليه السلام في وصيّته إلى الدار الآخرة التي ينبغي أن يستعدّ لها الإنسان بالعمل الصالح. قال عليه السلام:

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمامَكَ طَرِيقاً ذا مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا غِنَىٰ بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيادِ[1]، وَقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبالاً عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ، فَيُوافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ. وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

دعا إمام المتّقين والزاهدين إلى التفكّر الجادّ في النهاية الأخيرة من حياة الإنسان، فإنّ أمامه طريقاً ذا مسافة بعيدة فعليه أن يستعدّ له، ويقدّم له المزيد من عمل الخير الذي يضمن له النجاح والسلامة.

وأضاف الإمام مؤكّداً لما ذكره قائلاً:

---

(١) **الإرتياد**: الطلب.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمامَكَ عَقَبَةً كَؤوداً، الْمُخِفُّ فِيها أَحْسَنُ حالاً مِن الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْها أَقْبَحُ حالاً مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِها لَا مَحالَةَ إِمّا عَلَىٰ جَنَّةٍ أَوْ عَلَىٰ نارٍ، فارْتَدْ لِنَفْسِكَ[1] قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، «فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ»، وَلَا إِلَى الدُّنْيا مُنْصَرَفٌ.

أكّد الإمام عليه السلام على ضرورة العمل الصالح الذي هو أعظم ذخيرة لنجاة الإنسان وسلامته من المسؤوليّة أمام الله تعالى.

أهمّيّة الدعاء

أكّد الإمام عليه السلام على ضرورة الدعاء إلى الله تعالى المالك لجميع الأحداث، وأنّ له أهمّيّة بالغة في سلامة الإنسان. قال عليه السلام:

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذي بِيَدِهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ في الدُّعاءِ، وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَىٰ مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَىٰ، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ في قَبُولِ الْإِنابَةِ، وَلَمْ يُناقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ

---

(١) **فارتد لنفسك**: أي ابعث لك رائداً من طيّبات الأعمال.

نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِـدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بابَ الْمَتابِ، وَبابَ الْإِسْتِعْتابِ؛ فَإِذا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِـداكَ، وَإِذَا نَـاجَيْتَهُ عَـلِمَ نَـجْوَاكَ، فَـأَفْضَيْتَ إِلَـيْهِ بِـحَاجَتِكَ، وَأَبْـثَثْتَهُ ذاتَ نَـفْسِكَ، وَشَكَـوْتَ إِلَـيْهِ هُـمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَىٰ أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزائِـنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفاتِيحَ خَزائِنِهِ بِما أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَىٰ شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعاءِ أَبْوابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطاءُ إِجابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَىٰ قَدْرِ النِّـيَّةِ. وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْـرِ السّـائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطاءِ الْآمِلِ. وَرُبَّما سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَـلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِـيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسَأَلَتُكَ فِيما يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَىٰ عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَا يَبْقَىٰ لَكَ وَلَا تَبْقَىٰ لَهُ.

حوى هذا المقطع بعض الأمور البالغة الأهمّية وهي:

١ ـ إنّ الله تعالى قد أذن لعباده بالدعاء وضمن لهم الإجابة.

٢ ـ إنّ الله تعالى لم يجعل بينه وبين عباده حجاباً، فقد فتح أبوابه للسائلين تفضّلاً منه ورحمة.

٣ ـ إنّ الله تعالى قد تفضّل وتكرّم على عباده ففتح لهم أبواب التوبة إذا شذّوا في سلوكهم واقترفوا ما لا يرضيه ولم يعجّل لهم بالعقوبة، ولم يفضحهم بين العباد.

٤ ـ وكان من لطف الله تعالى على عباده بأن جعل من يرتكب سيّئة تسجّل له سيّئة واحدة، ومن يفعل حسنة تسجّل له عشر حسنات تشجيعاً على عمل الخيرات والمبرّات.

٥ ـ إنّ من ألطاف الله تعالى على عباده أن جعل بأيديهم مفاتيح خزائنه، وهو الدعاء، فإنّه من فيوضاته تعالى على العباد، والدعاء ربّما يجاب بالوقت، وربّما يؤخّر لمصلحة تعود على العبد يجهلها.

الإنسان خلق للآخرة

أكّد الإمام عليه السلام في وصيّته الذهبيّة أنّ الإنسان خلق للآخرة التي لا يفنى فيها لا للدنيا التي هي معرض الفناء.

قال عليه السلام:

وَاعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّما خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيا، وَلِلْفَناءِ لَا لِلْبَقاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَياةِ؛ وَأَنَّكَ في قُلْعَةٍ وَدارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذي لَا يَنْجُو مِنْهُ هارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ طالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْها بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ، فَإِذا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

حكى هذا المقطع وصيّة الإمام بأنّ الإنسان لم يخلق للدنيا، وإنّما هي دار

ممرّ، وأنّ الدار الآخرة هي دار البقاء والخلود.

الإكثار من ذكر الموت

وعهد الإمام عليه السلام إلى ولده الزكيّ سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام أن يكثر من ذكر الموت، فإنّه يزهّده في رغبات الدنيا ومباهجها. قال عليه السلام:

يا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذِكْرِ ما تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ. وَإِيّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَىٰ مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَساوِيها، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْض، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَها. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَىٰ مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَها، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَها. سُرُوحُ عاهَةٍ[1] بِوَادٍ وَعْثٍ، لَيْسَ لَها رَاعٍ يُقِيمُها، وَلَا مُسِيمٌ يُسِيمُها[2]. سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيا طَرِيقَ الْعَمَىٰ، وَأَخَذَتْ بِأَبْصارِهِمْ عَنْ مَنارِ الْهُدَىٰ، فَتاهُوا في حَيْرَتِها، وَغَرِقُوا في نِعْمَتِها، وَاتَّخَذُوها رَبّاً، فَلَعِبَت بِهِمْ وَلَعِبُوا بِها، وَنَسُوا ما وَراءَها.

تحدّث الإمام عليه السلام عن غرور الدنيا، ونهى ولده عليه السلام من الاغترار بأهل الدنيا

---

(١) **السروح العاهة**: هي الإبل السائبة التي ترعى الآفات.

(٢) **يسيمها**: أي يسرحها إلى المرعى.

الذين غرقوا بشهواتها ومباهجها، وقد وصفهم الإمام عليه السلام بأنّهم كلاب عاوية، وسباع ضارية، يأكل عزيزهم فقيرهم، فيجب الإجتناب عنهم، والنظر إليهم بعين الإحتقار.

وأضاف الإمام عليه السلام بعد ذلك قائلاً:

رُوَيْداً يُسْفِرُ الظَّلَامُ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ؛ يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ! وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ الْمَسافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً.

تحدّث عليه السلام عن سرعة عمر الإنسان، وأنّه لا بدّ أن يلحق بمَن كان قبله، فإنّ الإنسان يسرع به اللّيل والنهار إلى نهايته المحتومة.

الحذر من التهالك في طلب الدنيا

حذّر الإمام عليه السلام من التهالك في طلب الدنيا، وأنّه ينبغي أن يخفض في طلبها، ولا يجهد نفسه على رغائبها. قال عليه السلام:

وَأَعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ. فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ[1]؛ فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً.

---

(١) الحرب: سلب المال.

وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، ويُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟!

وهذه اللوحة من كلام الإمام عليه السلام من ذخائر الآداب الإسلامية، وقد حفلت بما يلي:

١ ـ الإجمال في طلب الرزق، وأن ليس من الفكر التهالك على طلب الرزق، فإنّه مكتوب للإنسان، فليس الطالب بمرزوق ولا المجمل بمحروم.

٢ ـ صيانةالنفس عن كلّ دنيّة ومنقصة، فإنّ كرامتها أغلى وأثمن من كلّ شيء.

٣ ـ أن لا يكون الإنسان عبداً لغيره، فقد جعله الله تعالى حرّاً، والحرية من أثمن ما يملكه الإنسان في حياته..

وأضاف الإمام عليه السلام قائلاً:

وَإِيّاكَ أَنْ تُوجِفَ[1] بِكَ مَطايا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَناهِلَ الْهَلَكَةِ. وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ، وَآخِذٌ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كانَ كُلٌّ مِنْهُ.

عرض الإمام عليه السلام إلى النهي عن الطمع، فإنّه يورد الإنسان مناهل الهلكة، وعليه أن يلتجئ إلى الله تعالى، فإنّ اليسير منه خير من الكثير من غيره.

محاسن الأخلاق

عهد الإمام عليه السلام بوصيّته الخالدة لولده الحسن عليه السلام أن يأخذ بمعالي الأخلاق، وأفاضل الصفات، قال عليه السلام:

---

(١) توجف: أي تسرع.

وَتَلَافِيكَ ما فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْراكِكَ ما فاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ ، وَحِفْظُ ما في الْوِعاءِ بِشَدِّ الْوِكاءِ ، وَحِفْظُ ما في يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ ما في يَدَيْ غَيْرِكَ . وَمَرارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النّاسِ ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَىٰ مَعَ الْفُجُورِ ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ ، وَرُبَّ ساعٍ فِيما يَضُرُّهُ ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . قارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ ، وَبايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ . بِئْسَ الطَّعامُ الْحَرامُ ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ . إِذا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كانَ الْخُرْقُ رِفْقاً . رُبَّما كانَ الدَّواءُ داءً ، وَالدَّاءُ دَواءً . وَرُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النّاصِحِ ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ . وَإِيّاكَ وَالْإِتِّكالَ عَلَى الْمُنَىٰ فَإِنَّها بَضائِعُ النَّوْكَىٰ ، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجارِبِ ، وَخَيْرُ ما جَرَّبْتَ ما وَعَظَكَ .

ويستمرّ الإمام عليه السلام المربّي في تأسيس معالم التربية الفذّة التي يسعد بها الإنسان وتصلح بها الشعوب قائلاً:

بادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ طالِبٍ يُصِيبُ ، وَلَا كُلُّ غائِبٍ يَؤُوبُ . وَمِنَ الْفَسادِ إِضاعَةُ الزّادِ ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعادِ . وَلِكُلِّ أَمْرٍ عاقِبَةٌ ، سَوْفَ يَأْتِيكَ ما قُدِّرَ لَكَ . التّاجِرُ مُخاطِرٌ ، وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَىٰ مِنْ كَثِيرٍ ! لَا خَيْرَ في مُعِينٍ مَهِينٍ ، وَلَا في صَدِيقٍ ظَنِينٍ . ساهِلِ الدَّهْرَ ما ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[1] ، وَلَا تُخاطِرْ بِشَيْءٍ رَجاءَ

---

(١) **القعود** : ما يقتعده الراعي من الإبل .

أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِيّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجاجِ.

احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ[١] عَلَى الصِّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَىٰ الْبَذْلِ، وَعِنْدَ تَباعُدِهِ عَلَىٰ الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَىٰ الْعُذْرِ، حَتَّىٰ كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ. وَإِيّاكَ أَنْ تَضَعَ ذٰلِكَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ. لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كانَتْ أَوْ قَبِيحَةً.

عرض الإمام عليه السلام المربّي في وصيّته إلى كثير من النقاط الاجتماعيّة التي يجب الاهتمام بها، ومن بينها شؤون الصداقة، وأنّها تجب أن تقوم في أعماق النفس، وربّ صديق خير من أخ.

وأضاف الإمام عليه السلام في الإدلاء ببنود وصيّته قائلاً:

وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَىٰ مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً[٢]. وَلِنْ لِمَنْ غاظَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَىٰ عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَىٰ الظَّفَرَيْنِ[٣]. وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْها إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مّا.

---

(١) **الصرم**: القطيعة.

(٢) **المغبّة**: العاقبة.

(٣) **الظفران**: هنا ظفر الإنتقام، وظفر الإحسان، والثاني أحلى.

وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكالاً عَلَىٰ ما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ. وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَىٰ الْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَىٰ عَلَىٰ قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَىٰ صِلَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَىٰ الْإِساءَةِ أَقْوَىٰ مِنْكَ عَلَىٰ الْإِحْسانِ. وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَىٰ في مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

أرأيتم هذه الغرر من الوصايا التربويّة الهادفة إلى تماسك المجتمع وترابطه، وشيوع الثقة والمودّة بين أبنائه، ومن المؤكّد أنّه ليس في الأُسس التربويّة قديماً وحديثاً مثل هذه الأُسس السليمة التي توحّد المجتمع وتعقد أواصر المحبّة والترابط بين أبنائه.

الرزق

تحدّث الإمام عليه السلام عن أنواع الرزق، وغيره من الشؤون التربويّة. قال عليه السلام:

وَاعْلَمْ ـيا بُنَيَّـ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتاكَ.

مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفاءَ عِنْدَ الْغِنَىٰ! إِنَّما لَكَ مِنْ دُنْياكَ، ما أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْواكَ، وَإِنْ كُنْتَ جازِعاً عَلَىٰ ما تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَىٰ كُلِّ ما لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ.

اسْتَدِلَّ عَلَىٰ ما لَمْ يَكُنْ بِما قَدْ كانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْباهٌ؛

وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذا بَالَغْتَ فـي إِيـلَامِهِ، فَـإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدابِ، وَالْبَهائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ.

اطْرَحْ عَنْكَ وَارِداتِ الْهُمُومِ بِعَزائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ.

مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ[1] جارَ. وَالصّاحِبُ مُناسِبٌ[2]، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ[3]. وَالْهَوىٰ شَرِيكُ الْعَناءِ، وَرُبَّ بَـعِيدٍ أَقْـرَبُ مِـنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ. مَنْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كانَ أَبْقَىٰ لَهُ. وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحانَهُ. وَمَنْ لَمْ يُبالِكَ[4] فَهُوَ عَدُوُّكَ. قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْراكاً، إِذا كـانَ الطَّـمَعُ هَلَاكاً.

لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصابُ، وَرُبَّـما أَخْـطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصابَ الْأَعْمَىٰ رُشْدَهُ. أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْـعَاقِلِ. مَـنْ أَمِـنَ الزَّمـانَ خانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهانَهُ. لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَـىٰ أَصـابَ. إِذا تَـغَيَّرَ السُّلْطانُ تَغَيَّرَ الزَّمانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجارِ قَبْلَ الدَّارِ.

---

(١) **القصد**: الإعتدال.

(٢) **الصاحب مناسب**: أي يراعى فيه ما يراعى في النسب.

(٣) المراد مراعاة حقّ الصديق في حال غيبته.

(٤) **من لم يبالك**: أي لم يهتمّ بأمرك.

وهذه الحِكم الخالدة من مقوّمات التربية الإسلاميّة، ومن غرر الوصايا التي تهذّب النفوس، وتصلح الطباع، وتنمّي الوعي.

ويستمرّ الإمام الحكيم في وصاياه الخالدة قائلاً:

إِيّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ ما يَكُونُ مُضْحِكاً، وَإِنْ حَكَيْتَ ذٰلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

وَإِيّاكَ وَمُشاوَرَةَ النِّساءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَىٰ أَفْنٍ[1]، وَعَزْمَهُنَّ إِلَىٰ وَهْنٍ. وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَىٰ عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِها ما جاوَزَ نَفْسَها، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ[2]. وَلَا تَعْدُ بِكَرامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا في أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا.

ويستمرّ الإمام المربّي والحكيم في وصيّته قائلاً:

وَإِيّاكَ وَالتَّغايُرَ في غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ[3]، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ.

وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحْرَىٰ

---

(١) **الأفن**: ضعف الرأي.

(٢) **القهرمان**: الذي يحكم في الأمور ويتصرّف فيها بأمره.

(٣) **التغاير**: إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظنّ فيها من غير موجب.

أَلَّا يَتَواكَلُوا[١] فِي خِدْمَتِكَ.

وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

اسْتَوْدِعِ اللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالسَّلَامُ.

وانتهت هذه الوصيّة التي حفلت بجميع مقوّمات التربية وآداب السلوك، وغرر الأحكام التي هي دروس مهذّبة للإنسان، ومن حقّها أن تنشر وتشاع في معاهد التربية والآداب، فقد حوت على جميع المناهج التي يسعد بها الإنسان.

---

(١) يتواكلوا: أي يتّكل بعضهم على بعض في خدمتك.

وصيّة الإمام عليه السلام لولده الحسين عليه السلام

ومن ألمع الوصايا التربويّة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصيّته لولده الإمام الحسين عليه السلام، فقد حفلت بالمقوّمات والمكوّنات لآداب السلوك، ومحاسن الأخلاق، وهي وإن لم تكن موجودة في النهج، إلّا أنّا آثرنا ذكرها لأهمّيّتها البالغة، وهذا نصّها:

قال عليه السلام:

يا بُنَيَّ، أُوْصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ، وَكَلِمَةِ الْحَقِّ في الرِّضا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنىٰ وَالْفَقْرِ، وَالْعَدْلِ في الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ، وَالْعَمَلِ في النَّشاطِ وَالْكَسَلِ، وَالرِّضا عَنِ اللهِ في الشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ.

أرأيتم هذه القيم والمكوّنات التي تسمو بالإنسان، وتهذّب سلوكه، وتكسبه الصفات الكريمة ومحاسن الآداب.

ويستمرّ الإمام عليه السلام المربّي في وصيّته قائلاً:

أَيْ بُنَيَّ ما شَرٌّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ بِشَرٍّ، وَلَا خَيرٌ بَعْدَهُ النّارُ بِخَيرٍ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مَحقُورٌ، وَكُلُّ بَلاءٍ دُونَ النّارِ عافِيَةٌ.

وأخذ الإمام عليه السلام يعهد بوصاياه التربويّة التي لا تقدّر بنودها لأهمّيّتها البالغة قائلاً:

وَاعْلَمْ -أَيْ بُنَيَّ- إِنَّهُ مَنْ أَبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شُغِلَ عَنْ عَيْبِ

غَيْرِهِ. وَمَنْ تَعَرّىٰ مِنْ لِباسِ التَّقْوىٰ لَمْ يَسْتَتِرْ بِشَيْءٍ مِنَ اللِّباسِ. وَمَنْ رَضِيَ بِقَسْمِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلىٰ ما فاتَهُ. وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ. وَمَنْ حَفَرَ بِئراً لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهَا. وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْراتُ بَيْتِهِ. وَمَنْ نَسِيَ خَطِيئَتَهُ اسْتَعْظَمَ خَطِيئَةَ غَيْرِهِ. وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ[١] عَطِبَ[٢]. وَمَنِ اقْتَحَمَ الْغَمَراتِ[٣] غَرِقَ. وَمَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ. وَمَنِ اسْتَغْنىٰ بِعَقْلِهِ زَلَّ. وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النّاسِ ذَلَّ. وَمَنْ جالَسَ الْعُلَماءَ وُقِّرَ، وَمَنْ خَالَطَ الْأَنْذالَ[٤] حُقِّرَ. وَمَنْ سَفِهَ عَلَيْهِمْ شُتِمَ[٥]. وَمَنْ دَخَلَ مَداخِلَ السَّوْءِ اتُّهِمَ. وَمَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ. وَمَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ خَطَأُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَأُهُ قَلَّ حَياؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَياؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النّارَ.

أرأيتم هذه القيم التربويّة التي يسعد بها الإنسان في سلوكه وسيرته.

ويستمرّ الإمام الحكيم عليه السلام في وصيّته قائلاً:

أَيْ بُنَيَّ، مَنْ نَظَرَ فِي عُيوبِ النّاسِ وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ بِها فَذاكَ

---

(١) كابدها: أي قاساها، وتحمّل المشاقّ في فعلها بلا إعداد إسبابها.

(٢) أي هلك.

(٣) الغمرات: الشدائد.

(٤) الأنذال ـ جمع النذل ـ أا لخسيس من الناس، المحتقر في جميع أحواله، والمراد بهم ذوي الأخلاق الدنيّة.

(٥) يعني: ومَن عابهم شتم وسبّ.

الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ. وَمَنْ تَفَكَّرَ اعْتَبَرَ. وَمَنِ اعْتَبَرَ اعْتَزَلَ. وَمَنِ اعْتَزَلَ سَلِمَ. وَمَنْ تَرَكَ الشَّهَواتِ كانَ حُرّاً. وَمَنْ تَرَكَ الْحَسَدَ كَانَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ عِنْدَ النّاسِ.

يَا بُنَيَّ، عِزُّ الْمُؤْمِنِ غِناهُ عَنِ النّاسِ. وَالْقَناعَةُ مالٌ لَا يَنْفَدُ. وَمَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيا بِالْيَسِيرِ. وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَنْفَعُهُ.

أرأيتم هذه القيم التي أدلى بها الإمام عليه السلام لتكون مدرسة للأجيال، ومصدر الهام للنفوس الواعية.

ويأخذ الإمام في وصيّته قائلاً:

أَيْ بُنَيَّ، الْعَجَبُ مِمَّنْ يَخَافُ الْعِقَابَ فَلَمْ يَكُفَّ، وَرَجَا الثَّوابَ فَلَمْ يَتُبْ وَيَعْمَلْ.

أَيْ بُنَيَّ، الْفِكْرَةُ تُورِثُ نُوراً. وَالْغَفْلَةُ ظُلْمَةٌ. وَالْجَهالَةُ ضَلَالَةٌ. وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ. وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيراثٍ. وَحُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ. لَيْسَ مَعَ قَطيعَةِ الرَّحِمِ نَماءٌ، وَلَا مَعَ الْفُجورِ غِنىً.

أرأيتم هذه الغرر التي هي منهاج للتربية الإسلاميّة القائمة على دراسة الأمور بحقائقها.

ويستمرّ الإمام الحكيم عليه السلام قائلاً:

يا بُنَيَّ، لَيْسَ مَعَ قَطيعَةِ الرَّحِمِ نَماءٌ، وَلَا مَعَ الْفُجورِ غِنىً.

أَيْ بُنَيَّ، الْعافِيَةُ عَشْرَةُ أَجْزاءٍ؛ تِسْعَةٌ مِنْها في الصَّمْتِ إِلّا بِذِكْرِ

اللهِ ، وَوَاحِدٌ في تَرْكِ مُجالَسَةِ السُّفهاءِ.

أَيْ بُنَيَّ ، مَنْ تَزَيّا بِمَعاصي اللهِ في الْمَجالِسِ أَوْرَثَهُ اللهُ ذُلّاً ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عَلِمَ.

ويستمرّ الإمام الحكيم عليه السلام بإدلاء غرر الحكم ومحاسن الصفات قائلاً:

يَا بُنَيَّ ، رَأْسُ الْعِلْمِ الرِّفْقُ ، وَآفَتُهُ الْخُرْقُ. وَمِنْ كُنُوزِ الْإِيْمانِ الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ. وَالْعَفافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنىٰ. كَثْرَةُ الزِّيارَةِ تُورِثُ الْمَلالَةَ ،

وَالطُّمَأْنِينَةُ قَبْلَ الْخُبْرَةِ ضِدُّ الْحَزْمِ. وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ يَدُلُّ عَلىٰ ضَعْفِ عَقْلِهِ.

أرأيتم غرر هذه الحكم والآداب التي هي مناهج تربية الإمام عليه السلام لا لأبنائه عليهم السلام ، وإنّما لجميع المسلمين.

ويستمرّ الإمام عليه السلام في وضع الأُسس التربويّة قائلاً:

يَا بُنَيَّ ، كَمْ مِنْ نَظْرَةٍ جَلَبَتْ حَسْرَةً ! وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً.

أَيْ بُنَيَّ ، لَا شَرَفَ أَعْلىٰ مِنَ الْإِسْلامِ ، وَلَا كَرَمَ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوى. وَلَا مَعْقِلَ أَحْرَزُ مِنَ الْوَرَعِ. وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ. وَلَا لِبَاسَ أَجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ. وَلَا مَالَ أَذْهَبُ بِالْفاقَةِ مِنَ الرِّضى بِالْقُوتِ. وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ تَعَجَّلَ الرّاحَةَ وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ.

ومعظم هذه الحكم فيها الدعوة إلى الإقتصاد والتوازن في الإسلام.

ويستمرّ الإمام عليه السلام في وضع المناهج التربويّة قائلاً:

يا بُنَيَّ، الْحِرْصُ مِفْتاحُ التَّعَبِ، وَمَطِيَّةُ النَّصَبِ، وَدَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَالشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ، وَكَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ. لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي لَكَ عَلَيْهِ. وَمَنْ تَوَرَّطَ فِي الْأُمُورِ بِغَيْرِ نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلنَّوائِبِ. التَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤْمِنُكَ النَّدَمَ. مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآراءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ. الصَّبْرُ جُنَّةٌ مِنَ الْفَاقَةِ. الْبُخْلُ جِلْبابُ الْمَسْكَنَةِ. الْحِرْصُ عَلامَةُ الْفَقْرِ. وَصُولٌ مُعْدِمٌ خَيْرٌ مِنْ جافٍ مُكْثِرٍ. لِكُلِّ شَيْءٍ قوتٌ وَابْنُ آدمَ قوتُ الْمَوْتِ.

وهذه الحِكم الغرّاء هي من مناهج المقوّمات التربويّة في الإسلام التي وضعها إمام الفكر والآداب.

ويأخذ الإمام عليه السلام في وصاياه قائلاً:

يَا بُنَيَّ، لَا تُؤْيِسْ مُذْنِباً، فَكَمْ مِنْ عاكِفٍ عَلَى ذَنْبِهِ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ، وَكَمْ مِنْ مُقْبِلٍ عَلَىٰ عَمَلِهِ مُفْسِدٍ لَهُ فِي آخِرِ عُمْرِهِ صَائِرٍ إِلَى النّارِ. نَعوذُ بِاللهِ مِنْها.

أَيْ بُنَيَّ، كَمْ مِنْ عاصٍ نَجا، وَكَمْ مِنْ عامِلٍ هَوىٰ. مَنْ تَحَرَّى الصِّدْقَ خَفَّتْ عَلَيْهِ الْمُؤَنِ. فِي خِلَافِ النَّفْسِ رُشْدُها. السّاعَاتُ تَنْتَقِصُ الْأَعْمَارَ. وَيْلٌ لِلْبَاغِينَ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَعَالِمٍ بِضَمِيرِ الْمُضْمِرِينَ.

ويستمرّ الإمام الحكيم عليه السلام بوضع المناهج التربويّة قائلاً:

يا بُنَيَّ، بِئْسَ الزّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدوانُ عَلَى الْعِبَادِ. فـي كُـلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ. لَنْ تُـنَالَ نِـعْمَةٌ إِلَّا بِـفِراقِ أُخْرىٰ. مَا أَقْـرَبَ الرّاحَـةَ مِـنَ النَّـصَبِ! وَالْـبُؤْسَ مِـنَ النَّـعِيمِ! وَالْمَوْتَ مِنَ الْحَيَاةِ! وَالسَّقَمَ مِنَ الصِّحَةِ. فَطُوبىٰ لِمَنْ أَخْلَصَ لِلّٰهِ عَمَلَهُ وَعِلْمَهُ وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ وَأَخْذَهُ وَتَرْكَهُ وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ وَفِعْلَهُ وَقَوْلَهُ، وَبَخٍ بَخٍ لِعَالِمٍ عَمِلَ فَجَدَّ، وَخَافَ الْبَيَاتَ فَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ، إِنْ سُئِلَ نَصَحَ، وَإِنْ تُرِكَ سَكَتَ، كَلَامُهُ صَوَابٌ، وَسُكـوتُهُ مِـنْ غَيْرِ عِيٍّ عَنِ الْجَوابِّ. وَالْوَيْلُ كُـلُّ الْـوَيْلِ لِـمَنْ بُـلِيَ بِـحِرْمَانٍ وَخِـذْلانٍ وَعِصْيانٍ فَاسْتَحْسَنَ لِنَفْسِهِ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَزْرىٰ عَلَى النّاسِ بِمِثْلِ ما يَأْتي.

وَاعْلَمْ ـأَيْ بُنَيَّـأَنَّهُ مَنْ لانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ.

وَفَقَّكَ اللهُ لِرُشْدِكَ، وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِ طاعَتِهِ بِقُدْرَتِهِ، إِنَّهُ جَوادٌ كَرِيمٌ[1].

وانتهت هذه الحِكم الرفيعة، والآداب السامية التي يعجز البلغاء عن الإتـيان ببعضها فضلاً عن مثلها.

إنّها المناهج التربويّة الحافلة بالقيم والمبادئ التي لا يستغني عنها الإنسان إن أراد تهذيب نفسه، وصلاح ذاته.

---

(١) تحف العقول: ٨٨ ـ ٩١.

وصيّة الإمام عليه السلام لكميل بن زياد

من الوصايا الرفيعة للإمام عليه السلام وصيّته إلى صاحبه وخليله العالم كميل بن زياد، وقد رواها عنه سعيد بن زيد بن أرطأة، قال: لقيت كميل بن زياد وسألته عن فضل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ألا أُخبرك بوصية أوصاني بها يوماً هي خير لك من الدنيا بما فيها؟

فقلت: بلى.

قال: قال لي عليّ عليه السلام:

يا كُمَيْلُ، سَمِّ كُلَّ يَوْمٍ بِاسْمِ اللهِ وَقُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَاذْكُرْنَا وَسَمِّ بِأَسْمَائِنَا وَصَلِّ عَلَيْنَا. وَاسْتَعِذْ بِاللهِ رَبِّنَا. وَأَدْرِأْ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِكَ وَمَا تَحُوطُهُ عِنَايَتُكَ، تُكْفَ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

يا كُمَيْلُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله أَدَّبَهُ اللهُ، وَهُوَ أَدَّبَنِي، وَأَنَا أُؤَدِّبُ الْمُؤْمِنِينَ وَأُوَرِّثُ الْأَدَبَ الْمُكْرَمِينَ.

يا كُمَيْلُ، مَا مِنْ عِلْمٍ إِلَّا وَأَنَا أَفْتَحُهُ، وَمَا مِنْ سِرٍّ إِلَّا وَالْقَائِمُ عليه السلام يَخْتِمُهُ.

يا كُمَيْلُ، ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

يا كُمَيْلُ، لَا تَأْخُذْ إِلَّا عَنَّا تَكُنْ مِنَّا.

يا كُمَيْلُ ، مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ .

يا كُمَيْلُ ، إِذَا أَكَلْتَ الطَّعَامَ فَسَمِّ بِاسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ دَاءٌ ، وَهُوَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ الْأَدْوَاءِ .

يا كُمَيْلُ ، إِذَا أَكَلْتَ الطَّعَامَ فَوَاكِلْ بِهِ ، وَلَا تَبْخَلْ فَإِنَّكَ لَنْ تَرْزُقَ النَّاسَ شَيْئاً وَاللهُ يُجْزِلُ لَكَ الثَّوابَ بِذَلِكَ .

تحدّث الإمام عليه السلام في هذا المقطع عن صلته الوثيقة بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وإنّه من ألصق الناس به ، فقد أفاض عليه آدابه الرفيعة ، وعلّمه ينابيع الحكمة ، وهو عليه السلام بدوره يعلّمها ويعهد بها إلى المؤمنين ، كما بيّن عليه السلام حاجة تلميذه إلى المعرفة والتزوّد من العلم ، وبعد ذلك عرض الإمام إلى آداب الطعام ، وأنّه ينبغي لمن يتناوله أن يذكر اسم الله تعالى الذي هو شفاء من كلّ داء ، وأن لا يأكل الإنسان وحده بل عليه أن يشاركه في الطعام غيره من البؤساء والمحتاجين .

ويأخذ الإمام عليه السلام في وصيّته قائلاً:

يا كُمَيْلُ ، أَحْسِنْ خُلُقَكَ . وَابْسُطْ جَلِيسَكَ ، وَلَا تَنْهَرْ خَادِمَكَ .

أوصى الإمام عليه السلام كميلاً بحسن الأخلاق التي هي وصايا الأنبياء ، كما أوصى بمراعاة الجليس واحترامه ورعايته ، ثمّ أوصى بالبرّ والإحسان إلى الخادم ، وأن لا ينهره ويعتدي عليه .

وأخذ الإمام في بيان كيفيّة تناول الطعام قائلاً:

يا كُمَيْلُ ، إِذَا أَنْتَ أَكَلْتَ فَطَوِّلْ أَكْلَكَ لِيَسْتَوفِيَ مَنْ مَعَكَ وَيُرْزَقَ مِنْهُ غَيْرُكَ .

يا كُمَيْلُ إِذَا اسْتَوْفَيْتَ طَعَامَكَ فَاحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ مَا رَزَقَكَ ،

وَارْفَعْ بِذَلِكَ صَوْتَكَ بِحَمْدَهُ سِوَاكَ فَيَعْظُمُ بِذَلِكَ أَجْرُكَ .

يا كُمَيْلُ ، لَا تُوقِرَنَّ مِعْدَتَكَ طَعَاماً ، وَدَعْ فِيهَا لِلْمَاءِ مَوْضِعاً وَلِلرِّيحِ مَجالاً .

يا كُمَيْلُ ، لَا تَنْقُدْ طَعَامَكَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَنْقُدُهُ .

يا كُمَيْلُ ، لَا تَرْفَعْ يَدَكَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ تَسْتَمْرِئُهُ ـأي تستطيبه .

يا كُمَيْلُ ، إِنَّ صِحَّةَ الْجِسْمِ مِنْ قِلَّةِ الطَّعامِ وَقِلَّةِ الْمَاءِ .

وضع الإمام عليه السلام بهذا المقطع برامج لآداب الطعام ، كما وضع منهجاً صحّياً لتناوله ، وفيما يلي ذلك:

آداب الطعام

أمّا آداب الطعام فهي:

أوّلاً: إنّ الإنسان إذا أكل ومعه غيره فعليه أن لا يسرع في القيام من المائدة لأنّه يوجب سرعة القيام لمن كان معه ، وفي ذلك حرمان لهم .

ثانياً: إنّ الإنسان إذا فرغ من تناول الطعام فعليه أن يحمد الله تعالى على ما رزقه من أطائب الأطعمة ، كما ينبغي له أن يرفع صوته بالحمد له تعالى ؛ لأنّ في ذلك تعليماً لغيره على شكر المنعم العظيم .

ثالثاً: إنّ الإنسان ينبغي له أن لا ينقد الطعام ، لا سيّما إذا كان مدعوّاً عند الغير ، تأسّياً بالنبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه لم يُؤْثر عنه مطلقاً أنّه نقد الطعام ، وذلك من معالي أخلاقه .

المنهج الصحّي

أمّا المنهج الصحي في تناول الطعام الذي يضمن سلامة الجهاز الهضمي فهي:

أوّلاً: إنّ الإنسان إذا تناول الطعام فعليه أن لا يملأ معدته منه، ويدع فيها فراغاً لشرب الماء، وفراغاً للريح، وهذا من أهمّ الوصفات الصحية التي تضمن سلامة الجهاز الهضمي الذي هو بيت الداء، ومصدر الأمراض والأسقام.

ثانياً: إن لا يسرف الإنسان في تناول الطعام، وأن يقوم من المائدة وهو يشتهي الطعام، فإنّ ذلك أضمن لصحّته، وأضمن لقواه، كما أكّدت ذلك مصادر الطب الحديث.

ثالثاً: إنّ صحّة الجسم منوطة بقلّة الطعام وقلّة الشراب، وهذا ما أكّده الأطباء.

ويستمرّ الإمام في وصيّته قائلاً:

يا كُمَيْلُ، الْبَرَكَةُ فِي الْمَالِ مَنْ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ وَمُوَاسَاةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصِلَةِ الْأَقْرَبِينَ، وَهُمُ الْأَقْرَبُونَ لَنَا.

يا كُمَيْلُ، زِدْ قَرَابَتَكَ الْمُؤْمِنَ عَلىٰ مَا تُعْطِي سِوَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَكُنْ بِهِمْ أَرْأَفَ وَعَلَيْهِمْ أَعْطَفَ، وَتَصَدَّقْ عَلَى الْمَساكِينِ.

يا كُمَيْلُ، لَا تَرُدَّ سَائلاً بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ مِنْ شَطْرِ عِنَبٍ... فَإِنَّ الصَّدَقَةَ تَنْمُو عِنْدَ اللهِ.

عرضت هذه البنود إلى الوسائل التي تنمي المال وتزيده وهي:

١ ـ الزكاة

وتظافرت الأخبار عن أئمّة الهدى عليهم السلام ، في أنّ إعطاء الزكاة موجباً لسعة الرزق وتنمية المال ، وقد حفلت مصادر الحديث والفقه بالمزيد من الأخبار في أنّ مانع الزكاة ليس من الإسلام في شيء وأنّ الدولة تقاتل مانع هذه الضريبة التي هي من مصادر واردات الدولة الإسلامية .

٢ ـ مواساة المؤمنين

وممّا توجب زيادة الثروة وتنميتها مواساة المؤمنين والإحسان إليهم والبرّ بهم ، وأفضل أنواع الإحسان وأجمل صوره الإحسان إلى السادة العلويّين زادهم الله تعالى شرفاً ، فإنّ البرّ بهم صلة للنبيّ صلى الله عليه وآله .

٣ ـ صلة الأرحام

وتظافرت الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأوصيائه العظام أنّ صلة الرحم لها آثارها الوضعية التي منها تنمية المال ، وطول العمر وغير ذلك .

٤ ـ عدم ردّ السائل

حثّ الإمام عليه السلام على الإحسان إلى السائل ، وعدم حرمانه ولو بشقّ تمرة .

٥ ـ الصدقة تنمّي المال

أمّا الصدقة سرّاً كانت أم جهراً ، فإنّها تنمّي المال وتزيد في الرزق ، وتدفع البلاء المبرم ، ويأخذ الإمام عليه السلام في وصيّته قائلاً:

يا كُمَيْلُ ، حُسْنُ خُلُقِ الْمُؤْمِنِ التَّواضُعُ ، وَجَمالُهُ التَّعَفُّفُ ،

وَشَرَفُهُ الشَّفَقَةُ، وَعِزُّهُ تَرْكُ الْقَالِ وَالْقِيلِ.

يا كُمَيْلُ، إِيّاكَ وَالْمِراءَ فَإِنَّكَ تُغْرِي بِنَفْسِكَ السُّفَهَاءَ إِذَا فَعَلْتَ وَتُفْسِدُ الْإِخَاءَ.

يا كُمَيْلُ، إِذَا جَادَلْتَ فِي اللهِ تَعَالىٰ فَلَا تُخَاطِبْ إِلَّا مَنْ يُشْبِهُ الْعُقَلَاءَ.

يا كُمَيْلُ، هُمْ ـأي الذين يجادلون في الله ـ **عَلَى كُلِّ حَالٍ سُفَهَاءُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**(١).

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى بعض الأمور المهمّة وهي:

١ ـ حسن الأخلاق

أمّا حسن الأخلاق فإنّه من أبرز الصفات الرفيعة والنزعات الشريفة، وفي بعض الأخبار إنّه نصف الإيمان، وفي الحديث النبوي: «**إِنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الْأَخْلَاقِ**»، ويرتبط بالأخلاق الفاضلة التواضع وعدم الأنانية، وممّا يرتبط به التعفّف والشفقة.

٢ ـ ترك المراء

ومن بنود المقطع ترك المراء فإنّه يوجب شيوع الكراهية ونشر الفساد.

٣ ـ المجادلة في الله

أمّا المجادلة في الله تعالى خالق الكون، وواهب الحياة فإنّها إنّما تكون مع

---

(١) البقرة ٢: ١٣.

العقلاء الذين يملكون طاقات من العلم والفكر ويخضعون لمنطق الدليل، فإنّ وجود الله تعالى أمر ضروري وواضح كلّ الوضوح أمّا الذين لا نصيب لهم من الفكر والعلم فإنّ الحديث معهم في جميع الأمور العقائدية يكون لغواً. هذا بعض ما احتوى عليه هذا المقطع من بحوث.

ويستمرّ الإمام عليه السلام في وصيّته لكميل قائلاً:

يا كُمَيْلُ، فِي كُلِّ صِنْفٍ قَوْمٌ أَرْفَعُ مِنْ قَوْمٍ، فَإِيّاكَ وَمُنَاظَرَةَ الْخَسِيسِ مِنْهُمْ وَإِنْ أَسْمَعُوكَ فَاحْتَمِلْ وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾(١).

عرض الإمام عليه السلام إلى أنّ في جميع الأصناف في المجتمع الإنساني قوماً أرفع من قوم تفكيراً وفضلاً، ونهى الإمام عليه السلام كميلاً من مناظرة الطبقة الواطئة تفكيراً وعدم الخوض معهم في أي شأن من الشؤون، ثمّ عرض الإمام إلى فقرة أُخرى من وصيّته قائلاً:

يا كُمَيْلُ، قُلِ الْحَقَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَوَازِرِ الْمُتَّقِينَ، وَاهْجُرِ الْفَاسِقِينَ.

يا كُمَيْلُ، جَانِبِ الْمُنَافِقِينَ، وَلَا تُصَاحِبِ الْخَائِنِينَ.

أمر الإمام عليه السلام بهذه الكلمات أن يقول الإنسان الحقّ في جميع الأحوال، وأن يؤازر المتّقين ويهجر الفاسقين الذين هم من أراذل المجتمع. ويقول عليه السلام في وصيّته:

---

(١) الفرقان ٢٥: ٦٣.

يا كُمَيْلُ ، إِيّاكَ وَالتَّطَرُّقَ إِلَى أَبْوَابَ الظّالِمِينَ والْإِخْتِلَاطَ بِهِمْ ، وَالْإِكْتِسَابَ مِنْهُمْ ، وَإِيّاكَ أَنْ تُطِيعَهُمْ ، وَأَنْ تَشْهَدَ فِي مَجَالِسِهِمْ بِمَا يُسْخِطُ اللهَ عَلَيْكَ .

يا كُمَيْلُ ، إِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى حُضُورِهِمْ فَدَاوِمْ ذِكْرَ اللهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ ، وَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَأَطْرِقْ عَنْهُمْ[1] وَأَنْكِرْ بِقَلْبِكَ فِعْلَهُمْ ، وَاجْهَرْ بِتَعْظِيمِ اللهِ تَعَالَى لِتُسْمِعَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَهَابُونَكَ وَتُكْفَىٰ شَرَّهُمْ .

وفي هذه الكلمات نهى الإمام عليه السلام من الاختلاط بالظالمين ؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[2] ، وإذا اضطرّ الإنسان إلى حضور دوائرهم فعليه أن يذكر الله تعالى ، ويستعيذ به من شرّهم وآثامهم فإنّ ذلك أدنى للتخلّص من حرمة مجالستهم .

ويأخذ الإمام عليه السلام في وصيّته قائلاً:

يا كُمَيْلُ ، إِنَّ أَحَبَّ مَا امْتَثَلَهُ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ بِهِ وَبِأَوْلِيَائِهِ التَّجَمُّلُ وَالتَّعَفُّفُ وَالْإِصْطِبَارُ .

إنّ التجمّل والتعفّف والاصطبار من أبرز القيم الكريمة التي ترفع مستوى الإنسان إلى آفاق رفيعة من الفضل والكمال .. ويقول عليه السلام:

يا كُمَيْلُ ، لَا بَأْسَ بِأَنْ لَا تُعْلِمَ سِرَّكَ ...

---

(١) **أطرق عنهم** :أي اسكت ولا تتكلّم .

(٢) هود ١١: ١١٣ .

إنّ إخفاء السرّ وما انطوت عليه نفس الإنسان من عقائد وغيرها الأوْلى أن تكون طي الكتمان، لأنّ إظهارها للغير قد تجرّ له الويل والعطب.. يقول عليه السلام:

يا كُمَيْلُ، لَا تُرِيَنَّ النّاسَ افْتِقَارَكَ، وَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ احْتِساباً بِعِزٍّ وَتَسَتُّرٍ.

أوصى الإمام عليه السلام بعزّة النفس وكرامتها، ومن المؤكّد أنّ إظهار الفقر والحاجة من مرديات الإنسان ومسقطاته من أعين الناس، يقول عليه السلام:

يا كُمَيْلُ، لَا بَأْسَ أَنْ تُعْلِمَ أَخَاكَ سِرَّكَ.

يا كُمَيْلُ، ومَنْ أَخُوكَ؟ أَخُوكَ الَّذِي لَا يَخْذُلُكَ عِنْدَ الشِّدَةِ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْكَ عِنْدَ الْجَرِيرَةِ، وَلَا يَخْدَعُكَ حِينَ تَسْأَلُهُ، وَلَا يَتْرُكُكَ وَأَمْرَكَ حَتّى تُعْلِمَهُ، فَإِنْ كَانَ مُمِيلاً[1] أَصْلِحْهُ.

يا كُمَيْلُ، الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ؛ يَتَأَمَّلُهُ، وَيَسُدُّ فَاقَتَهُ، وَيُجْمِلُ حَالَتَهُ.

يا كُمَيْلُ، الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا شَيْءَ آثَرُ عَنْدَ كُلِّ أَخٍ مِنْ أَخِيهِ.

يا كُمَيْلُ، إِنْ لَمْ تُحِبَّ أَخَاكَ فَلَسْتَ أَخَاهُ.

تحدّث الإمام عليه السلام في هذا المقطع عن الاخوة الإسلامية وما يلازمها من الآثار الوضعية والتي منها أن يحدّث المسلم أخاه في الإسلام عن أسراره وشؤونه، وقد حدّد الإمام الأخ وعرف واقعه في المنطلق الإسلامي، فالأخ هو الذي لا يخذل أخاه عند الشدّة، ولا يغفل عنه عند الجريرة، إلى غير ذلك من الآثار التي

---

(١) **المميل**: صاحب الثروة والمال الكثير.

ذكرها الإمام عليه السلام، وهي نادرة الوجود أو معدومة في هذا العصر الذي طغت فيه المادة على كلّ شيء.

القضاء

وحفل نهج البلاغة بكلمات الإمام عليه السلام حول القضاء لأنّه من المراكز الحسّاسة في الدولة الإسلاميّة، واشترط الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في القضاة أن يكونوا أفضل أبناء الأُمّه تقوى وورعاً وكمالاً ونزاهة، ولنستمع إلى ما جاء في عهده لمالك الأشتر من البنود المشرقة التي تخصّ القضاة، قال عليه السلام:

«ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ ـ أي لا تغضبه ـ وَلَا يَتَمادَىٰ فِي الزَّلَّةِ وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَىٰ طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَىٰ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ؛ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَىٰ تَكَشُّفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ، وَأُولٰئِكَ قَلِيلٌ.

ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ.

وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذٰلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ. فَانْظُرْ فِي ذٰلِكَ نَظَراً بَلِيغاً

فَإِنَّ هٰذَا الدِّيْنَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوىٰ، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا»[1].

حفل هذا المقطع الشريف من عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر واليه على مصر بأمور بالغة الأهمّية، لم يحفل بمثلها أي نظام اجتماعي عرض لنظام الحكم والإدارة.. لقد نظر الإمام عليه السلام بعمق وشمول إلى أهمّ جهاز في الدولة وهو القضاء، فألزم أن يكون أفضل مَن في الرعية علماً وتقوى وورعاً، وعليهم أن يتحمّلوا المسؤوليات التالية:

١ ـ أن يكون القاضي واسع الأفق، لا يضيق من الدعاوى التي ترفع إليه، ولا ينزعج ويتبرّم أمام المتخاصمين.

٢ ـ أن لا يتمادى في الزلل، وعليه أن يقف أمام الأحداث التي تعرض عليه بتبصّر وترو.

٣ ـ عليه أن يتبع الحقّ إذا تبيّن له.

٤ ـ أن يبتعد عن الطمع، ولا تميل نفسه إلى حطام الدنيا.

٥ ـ عليه أن ينظر في الدعاوى التي ترفع إليه نظرة فاحصة، ويبذل قصارى فهمه فيها حتى يكون حكمه مصيباً.

٦ ـ عليه أن يقف في الشبهات، ولا يحكم حتى يتبيّن له الحقّ.

٧ ـ أن يأخذ بحكمه بالحجج القاطعة.

٨ ـ لا يملّ ولا يسأم من مراجعة المتخاصمين.

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٤٣٤ و ٤٣٥.

٩ ـ أن يكون شديداً في جانب الحقّ، ولا يميل لأي طرف من المتنازعين.

١٠ ـ أن لا يزدهيه إطراء الناس، ولا يستميله إغراؤهم.

الحريّة

ومن معالم الحضارة النابهة في نهج البلاغة الحرّيّة بنطاقها الواسع التي منحها مؤسّس الحضارة الإسلاميّة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي ذات صور حسب ما جاء في النهج منها، وهذه شذرات منها:

الحرّيّة السياسيّة

منح الإمام أمير امؤمنين عليه السلام الحرّيّة السياسيّة للناس من دون أن يفرض عليهم رأياً معاكساً، وقد أتاح الإمام عليه السلام للناس اعتناق أي مذهب سياسي يذهبون إليه، وقد منح هذه الحرّيّة لخصومه الذين تخلّفوا عن بيعته، أمثال سعد بن أبي وقّاص، وعبدالله بن عمر، وحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد الخدريّ، وزيد بن ثابت، وأمثالهم[1].

ولم يتّخذ معهم أي إجراء حاسم، ولم يقابلهم بالمثل، وتركهم وشأنهم، ولم يتّخذ مثل ذلك أبو بكر في حكومته، فقد صبّ جام غضبه على بقيّة النبوّة وسيّدة نساء العالمين، فأحرق دارها، وأسقط جنينها، وكسر ضلعها، واعتدى عليها بواسطة جلاوزته، مثل خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وقنفذ بالضرب.

كما منع عنها مواريثها من نِحلة النبيّ صلى الله عليه وآله لها فدكاً وغيرها، وترك شبح الفقر ماثلاً في بيتها، وأعقبت الأحداث تتوالى على آل النبيّ صلى الله عليه وآله، والتي كان من أقساها

---

(١) مروج الذهب: ٣: ٣٥٣.

ومن أخلدها في تاريخ الأحزان رزايا كربلاء التي لم يمتحن ببعضها نبيّ من أنبياء الله تعالى، فأين وصايا القرآن ووصايا رسول ربّ العالمين في ذرّيّته وأبنائه، والحكم لله تعالى وعند الساعة يخسر المبطلون. كتبت هذه الأسطر يوم الحزن، يوم الحادي عشر من محرّم.

وعلى أي حال، فلنعد إلى الحرّيّة التي منحها الإمام عليه السلام للشعوب والتي منها:

حرّيّة القول

والناس أحرار فيما يقولون في سياسة الإمام، وليس للسلطة أن تحاسبهم وتمنعهم عن ذلك، وكان من بنودها ما رواه المؤرّخون أنّ أبا حنيفة الطائيّ لمّا رجع من واقعة النهروان ومعه جماعة من إخوانه كان فيهم أبو العيزار الطائيّ، وكان من عيون الخوارج، فقال لعدي بن حاتم: يا أبا طريف، أغانم أم سالم؟

- بل غانم سالم.
- الحكم إذن إليك.

وأوجس منه خيفة، وألقى عليه القبض، وجاء به مخفوراً إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وعرض عليه مقالته فقال له: **ما أصنع به؟**

- تقتله.
- **أقتل مَن لا يخرج علَيَّ؟**
- احبسه؟
- **ليست له جناية أحبسه عليها، خلّيا سبيل الرجل.**

أرأيتم هذه الحرّيّة التي وفّرها وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله لأعدائه ومبغضيه.

حرّيّة النقد

ومن بنود الحرّيّة التي منحها الإمام لشعبه حرّيّة النقد، فقد كان أحد أعدائه يعارضه بقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾(١).

فردّ عليه الإمام عليه السلام بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾(٢).

ولم يتّخذ الإمام عليه السلام أي إجراء حاسم، ولم يرَ الناس في جميع مراحل التاريخ حاكماً منح الحرّيّة التامّة لشعبه مثل ما منحها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الحديد ٥٧: ٦.

(٢) الروم ٣٠: ٦٠.

العدل

ومن بنود سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إشاعته للعدل الشامل لجميع شعوب رعيّته بلا فرق بين قوم وآخرين، ولم تعرف الإنسانيّة في جميع مراحل تاريخها حاكماً تبنّى العدل بجميع صوره وبنوده كالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو القائل: «**الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ**»[1].

وعزل أحد ولاته حينما أخبرته سودة بنت عمارة بأنّه قد جار في حكمه، فبكى الإمام عليه السلام وقال بحرارة:

اللّٰهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ، أَنِّي لَمْ آمُرْهُمْ بِظُلْمِ خَلْقِكَ، وَلَا بِتَرْكِ حَقِّكَ.

ثمّ عزله في الوقت[2].

وروى المؤرّخون صوراً مذهلة من عدله لم يعرفها الناس من قبله ولا من بعده[3].

إبعاد المنحرفين والطامعين

وكان من مظاهر سياسة الإمام عليه السلام إبعاد المنحرفين والطامعين في الحكم،

---

(١) نهج البلاغة: ١: ٨٩.

(٢) العقد الفريد: ١: ٢١١.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١١٧.

وقد أعلن الإمام عليه السلام هذه الخطّة المشرقة بقوله لرفاعة بن شدّاد:

اعْلَمْ ـ يا رِفاعَةُ ـ أَنَّ هـٰذِهِ الْإِمارَةَ أَمانَةٌ، فَمَنْ جَعَلَها خِيانَةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ تَعالىٰ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ، وَمَنِ اسْتَعْمَلَ خائِناً فَإِنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بَرِيءٌ مِنْهُ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ[1].

ولمّا أعلن الزبير وطلحة رغبتهما الملحّة في ولاية البصرة والكوفة امتنع من إجابتهما، فاستدعى عبدالله بن عبّاس، فقال له: **بَلَغَكَ قَوْلُ هـٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ** ـ يعني طلحة والزبير.

- نعم بلغني قولهما.
- **ما تَرىٰ؟**
- أرى أنّهما أحبّا الولاية، فولّ الزبير البصرة، وولّ طلحة الكوفة.

فأنكر الإمام عليه السلام رأيه وقال له:

وَيْحَكَ! إِنَّ الْعِراقَيْنِ بِهِما الرِّجالُ وَالْأَمْوالُ، وَمَتىٰ تَمَلَّكا رِقابَ النّاسِ يَسْتَميلا السَّفيهَ بِالطَّمَعِ، وَيَضْرِبا الضَّعيفَ بِالْبَلاءِ، وَيَقْوَيا عَلَى الْقَوِيِّ بِالسُّلْطانِ، وَلَوْ كُنْتَ مُسْتَعْمِلاً أَحَداً لِضُرِّهِ وَنَفْعِهِ لَاسْتَعْمَلْتُ مُعاوِيَةَ عَلَى الشّامِ، وَلَوْلا ما ظَهَرَ لي مِنْ حِرْصِهِما عَلَى الْوِلايَةِ لَكانَ لي رَأْيٌ فيهِما[2].

من أجل هذه البنود التي تحمل حرص الإمام عليه السلام على إشاعة العدل ونشره بين الناس لم يولّهما الولاية، حتّى خرجا يريدان الغدرة، والتحقا بعائشة المركز

---

(١) دعائم الإسلام: ٢: ١٨٩.

(٢) الإمامة والسياسة: ١: ٥٠.

المهمّ للمعارضة حكومة الإمام، فكانت واقعة الجمل التي مهّدت الطريق لمعاوية في إعلان التمرّد على حكومة الإمام عليه السلام.

المساواة

وشيء آخر بالغ الأهمّيّة في سياسة الإمام عليه السلام هو المساواة بين الناس، فالقريب والبعيد على حدّ سواء، فلافرق بين السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وبين بقيّة أفراد الشعب، فكلّهم بمستوى واحد، ومن صور مساواته:

المساواة في الحقوق والواجبات.

المساواة في العطاء.

المساواة في القانون.

وألزم عمّاله بتطبيقها على جميع المواطنين، وقد قال في عهده الدولي لمالك وفي غيره:

وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ في اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالْإِشارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتّىٰ لاَ يَطْمَعَ الْعُظَماءُ في حَيْفِكَ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفاءُ مِنْ عَدْلِكَ.

أرأيتم هذا السموّ والإخلاص للحقّ والعدل في سياسة عملاق هذه الأمّة ورائد حضارتها ومقوّماتها الفكريّة.

المواساة

ومن بنود سياسة الإمام عليه السلام مواساته الرائعة والشاملة لأبناء شعبه، فقد واسى الضعفاء في مكاره الدهر وجشوبة العيش، وهو القائل:

أَأَطْمَعُ أَنْ أَكونَ أَميرَ الْمُؤْمِنينَ وَلَا أُشارِكُهُمْ في جُشوبَةِ الْعَيْشِ وَمَكارِهِ الدَّهْرِ، وَلَعَلَّ في الْحِجازِ وَالْيَمامَةِ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ بِالْقُوتِ، وَلَا طَمَعَ لَهُ بِالشِّبْعِ. أَأَبِيْتُ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَىٰ وَأَكْبَادٌ حَرَّىٰ ؟ أَوَ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَىٰ الْقِدِّ

هذا عليّ عليه السلام رائد الحضارة الإنسانيّة الذي حقدت عليه قريش وناجزته الحرب لعدله ومساواته وسموّ سياسته.

ولو كان للمسلمين نصيب من التطوّر في عالم السياسة لارتقى الإمام عليه السلام منصّة الحكم بعد وفاة أخيه وابن عمّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنّ الخطّ القرشيّ وضع أمامه الحواجز والسدود وحاربوه كما حاربوا أخاه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبهذا العرض الموجز نطوي الحديث عن بعض المعالم الحضاريّة في نهج البلاغة، وقد تحدّثنا في كثير من مؤلّفاتنا، خصوصاً في كتابنا (المناهج في حكومة الإمام عليه السلام) وفي شرحنا للعهد الدولي لمالك الأشتر، والإعادة تكرار وهو لا يخلو من الملل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

يوم ١١ محرّم سنة ١٤٣٣هـ وأنا مصاب بوعكة صحّيّة

سائلاً منه تعالى الشفاء

مُحتويات الكتاب

الإهداء ٧

القرآن الكريم

١١ ـ ١٨

وصف القرآن ١١
القرآن نور ١١
القرآن ناطق ١٣
القرآن يتحدّث عن أنباء الماضي والمستقبل ١٣
القرآن حبل الله ١٤
القرآن ناصح ١٤
القرآن هدى ونور ١٥
الحثّ على تعلّم القرآن ١٦
حفظ القرآن ١٦
دعاؤه ﷺ عند ختم القرآن ١٧
القرآن ربيع القلوب ١٨

العلم و التعليم

١٩ ـ ٢٧

الإشادة بالعلم ١٩

أهمّية العالم ٢١
تكريم العالم ٢١
أخذ المحاسن من كلّ علم ٢٢
تشجيعه عليه السلام للحركة العلمية ٢٢
العمل بالعلم ٢٢
أنواع طلاب العلم ٢٣
ذمّ أهل الرأي ٢٥
بذل العلم ٢٦
حثّه عليه السلام على جودة الخطّ ٢٦
أنواع العلوم ٢٧

التربية

٢٩ ـ ٦٥
وصيّته عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام ٢٩
دوافع الوصيّة ٢٩
بنود الوصيّة ٣٠
الإعتصام بالله عزّ وجلّ ٣٢
أهمّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله ٣٣
نفي الشريك لله عزّ وجلّ ٣٣
حال الدنيا ٣٤
معاملة الناس ٣٥
الدار الآخرة ٣٧
أهمّيّة الدعاء ٣٨

الإنسان خلق للآخرة ٤٠
الإكثار من ذكر الموت ٤١
الحذر من التهالك في طلب الدنيا ٤٢
محاسن الأخلاق ٤٣
الرزق ٤٦
وصيّة الإمام عليه السلام لولده الحسين عليه السلام ٥٠
وصيّة الإمام عليه السلام لكميل بن زياد ٥٦
آداب الطعام ٥٨
المنهج الصحّي ٥٩
١ ـ الزكاة ٦٠
٢ ـ مواساة المؤمنين ٦٠
٣ ـ صلة الأرحام ٦٠
٤ ـ عدم ردّ السائل ٦٠
٥ ـ الصدقة تنمّي المال ٦٠

القضاء

٦٧ ـ ٦٩

الحريّة

٧١ ـ ٧٣

الحرّيّة السياسيّة ٧١
حرّيّة القول ٧٢
حرّيّة النقد ٧٣

العدل

٧٥ ـ ٧٧

إبعاد المنحرفين والطامعين ٧٥

المساواة

٧٩

المواساة

٨١

مُحتويات الكتاب ٨٣

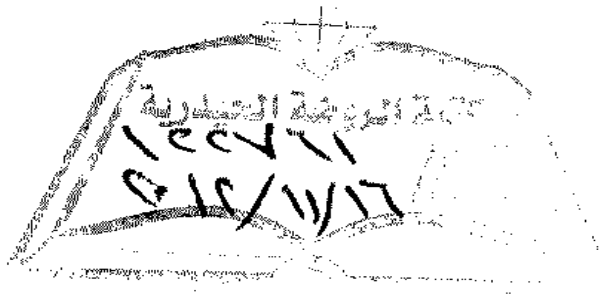

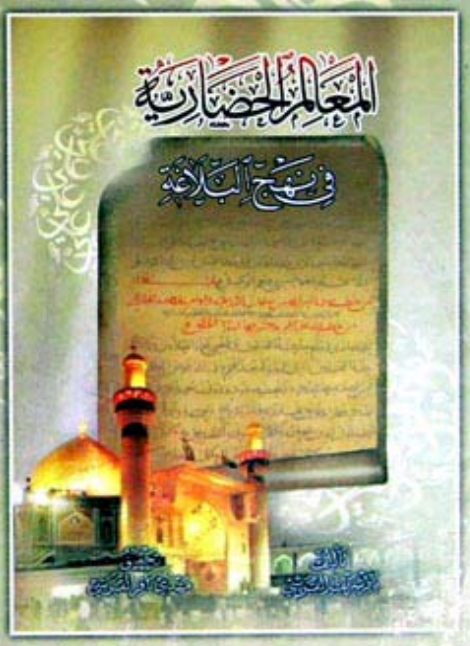

النجف الأشرف ـ نهاية شارع الرسول (ص)
www.hassanlib.com
hasanlib@yahoo.com
هاتف: ٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠ ٩٦٤+